مجلة ثقافية تصدر كل شهرين عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم

الموحد الثقافي

العددان
17 و 18

لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر
ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام

أخبار المنظمات

الألكسو المؤتمر الرابع عشر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

- النتائج والارتسامات المستقبلية
- الاعلان عن جائزتي المنظمة العربية للتربية الثقافة والعلوم

محور التربية

- تقنيات التدريس الحظوي
- المكتبة المدرسية ضرورة تربوية وتثقيفية في موريتانيا

محور الثقافة

- ثنائية التلاقي والاختلاف في تحديث الرواية العربية عند روائيي الحساسية الجديدة
- مكانة المرأة في المجتمع الموريتاني

المحور العلمي

الطبيب ابن النفيس
مكتشف الدورة الدموية

المدير الناشر: اعلي ولد ببوط

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم

المركب الثقافي

لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر
ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام

العدد 17 و 18

أخبار المنظمات

الإلكسو المؤتمر الرابع عشر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

- النتائج والارتسامات المستقبلية
- الاعلان عن جائزتي المنظمة العربية للتربية الثقافة والعلوم

محور التربية

- تقنيات التدريس الحظري
- المكتبة المدرسية ضرورة تربوية وثقافية في موريتانيا

محور الثقافة

- ثنائية التلاقي والاختلاف في تحديث الرواية العربية عند روائيي الحساسية الجديدة
- مكانة المرأة في المجتمع الموريتاني

المحور العلمي

الطبيب ابن النفيس

مكتشف الدورة الدموية

المدير النشر: اعلي ولد بيوط

- الآراء المنشورة على صفحات المجلة لا تلزم إلا محرري المقالات والبحوث.
- تستقبل المجلة كل البحوث والمقالات والابداعات الجادة باللغتين العربية والفرنسية.
- تلتزم المجلة بنشر ما أجازته لجنة القراءة. وتعويضه عند النشر.
- لا تعاد أصول المواضيع لأصحابها سواء نشرت ام لم تنشر.

المركز الثقافي العربي

العددان 17 و 18

المدير الناشر
أعلي ولد ببوط

رئيس التحرير
محمد الامين ولد المنير

المدير الفني
محمد ولد احظانا

يساعده في الملحق الفرنسي
امبارك ولد بيروك
احمد ولد الشيخ

سكرتير التحرير

احمد جدو ولد محمد

المحررون
الشيخ المعلوم ولد محمد سالم
مريم بنت بكرن
احمد سالم ولد ببوط
احمد جدو ولد محمد
محمد الامين ولد المنير
محمد ولد احظانا

مسؤول المتابعة والاشتراكات
سليمان ولد بونه مختار

الطباعة والاخراج
م.م.م.
سحب المطبعة الوطنية

مقدمة

اعل ولد ببوط الأمين العام للجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم المدير الناشر

محور المنظمات

الاكسو المؤتمر الرابع عشر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

النتائج والارتسامات المستقبلية

الاعلان عن جائزتي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

م. محمد بن احظانا باحث موريتاني

محور التربية

تقنيات التدريس المحظري

حد أمين بن اسلم جامعة انواكشوط

المكتبة المدرسية ضرورة تربوية وتثقيفية في موريتانيا

محمد المختار ولد محمد المصطفى

باحث موريتاني

محور الثقافة

ثنائية التلاقي والاختلاف في تحديث الرواية العربية عند روائيي الحساسية الجديدة

محمد الامين ولد مولاي ابراهيم/

باحث موريتاني مقيم في القاهرة

كتاب الشناشيل قراءة ومناقشة

السالكة بنت اسنيد /

كاتبة صحفية باذاعة موريتانيا

المجتمع الشنقيطي التقليدي دراسة سوسيو – تاريخية التسميات والحدود

عبد الوهاب ولد محفوظ

دكتوراه سلك ثالث في علم الاجتماع

المفهوم النقدي للشعر الاسلامي المعاصر :

د. عبد الله بن أحمد بن حمدى

/الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا

مكانة المرأة في المجتمع الموريتاني الوسيط

الناني ولد الحسين/ جامعة انواكشوط

المرأة الموريتانية مسيرة ثلاثين سنة (1960-1990)

محمد فاضل ولد الخطاب باحث

الخلفية التاريخية للتواصل الثقافي بين الدولة المرابطية والدولة العباسية

عرض كتاب : تحقيق الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لمؤلفه أحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي.

محمد ولد ماء العينين

دكتوراه السلك الثالث في الادب العربي

الفكر العربي المعاصر في مواجهة التراث

(بقية) حمود ولد حمادي جامعة انواكشوط

القط الذكي قصة من الواقع بقلم سيد و لد محمد ولد سيد

المحور العلمي

الطبيب ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية

سيدي ولد مناه جامعة انواكشوط

افتتاحية

قارئنا الكريم

سعيا من مجلة الموكب الثقافي الى مواكبة التوجيهات السامية لفخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيد احمد الطايع في الحث على ضرورة امتلاك المعارف والتكنولوجيا من جهة وترسيخ الهوية الحضارية الاسلامية العربية والافريقية المبد وما يترتب على هذا التوجه الخلاق من ربط الأجيال الناشئة بعصرها وتسليحها بمنهج حديث قادر على ضمان حذقها لآليات القرن الواحد والعشرين ورفع تحدياته بكفاءات عالية تناسب الأداء التاريخي للانسان الموريتاني. وهو ما يستدعي معرفة دقيقة لأجيال المستقبل باللغة العربية واللغات الوطنية والحضارة الاسلامية من ناحية. ويستدعي من ناحية أخرى اتقان اللغات الاجنبية ومضامينها الثقافية والعلمية البناءة لأن التحديث والتطور يفرضان ذلك. اعتبارا لكل ذلك وتجسيدا لهذه التوجيهات السامية، ارتأت مجلتكم في هذين العددين الصادرين في مجلد واحد – نظرا لظروف قاهرة– ان تعكس البحوث والمواضيع المنشورة فيها استجابة الباحثين والمثقفين المنساقة مع هذا المنحى تأكيدا لحاجتنا المزدوجة للتأصيل الحضاري والتحديث المعرفي والتقني. وبما أن الجمهور الأكثر استهدافا بالعملية التنموية والتحديث هو من النساء والشباب حسب ما أكد على ذلك فخامة رئيس الجمهورية قامت المجلة بنشر بحثين عن المرأة الموريتانية تاريخا وحاضرا. وسنولي الإهتمام للبحوث المنصبة على الشباب في اعدادنا اللاحقة.

اعل ولد ببوط
الامين العام للجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم
المدير الناشر

– مواضيع العددين غطت مختلف مجالات اهتمامات باحثينا، ونحن سعداء في المجلة بأن تكون محط اهتمامهم، وكلنا استعداد لنشر جديدهم.

محور المنظمات

الألكسو المؤتمر الرابع عشر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: النتائج والارتسامات المستقبلية. الاعلان عن جوائز المنظمة للثقافة والأدب

م. محمد بن احظانا باحث موريتاني

على أبواب أفول قرن وإشراف اخر تبدأ الأمم في مراجعة حصيلتها من الانجازات، تقارن بين احلامها مطلع القرن وحصادها عند انطفاء آخر جذوة من جذواته المائة.

وإذا كان القرن العشرين قد بدأ بتوقعات كبيرة وأحلام وآمال كانت الأمة العربية تسعى من وراء تحقيقها الى تبؤ مكانة سامية في مصاف الأمم الراقية، فإن العقبات التي لا حصر لها أجهضت هذه المسيرة؛ وكان لعوامل التخلف الاجتماعي والثقافي والتقني في الأمة، وإجهاض التجارب النهوضية من طرف الاستعمار في لعقود الخمسة أو الستة الأولى من القرن الآفل من جهة العوامل الخارجية.

ولا يزال بعض الأسئلة التي طرحت في بداية القرن لم تفقد حرارة ميلادها وإن بعد. من ذلك التساؤل:

– لماذا تأخرنا وتقدم غيرنا؟

لقد كان إنشاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إجابة من بين الإجابات العملية التي ووجه بها هذا السؤال، وذلك على أساس أن النهضة تقوم على أركان. من بينها التربية كسبيل لتأهيل أجيال البناء، والثقافة كحمى معنوي من الذوبان في الثقافات الأخرى، وتثبيت الهوية الحضارية، والعلوم كسبيل مادي لانجاز واقع لائق تقنيا ونظريا تجلب به الأمة لنفسها اسباب المنعة والرفاه.

وقد علمت المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة تحت دائرة الضوء وخارجها أحيانا، على تشجيع التعاون بين الدول العربية وتشخيصه من خلال التنسيق والاستشارة والتوجيه وتنفيذ البرامج التي تقررها المؤتمرات العامة للدول الأعضاء، وذلك عن طريق هيئات المنظمة والمؤسسات التابعة لها واللجان الوطنية للدول العربية. وعلى هذه الأضواء التأم المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في دورته العادية الرابعة عشر بطرابلس – ليبيا– في ديسمبر 1998، من أجل تقويم ما تم من

إنجازات ووضع خطة لسنتي 1999 و 2000، وذلك حول جدول أعمال ضم أربعة وعشرين نقطة من أهمها:

1- مشروع الميزانية والبرامج للدورة المالية لعامي 99-2000 وتقرير المدير العام عنه.

2- تقرير رئيس المجلس التنفيذي حول مشروع الميزانية لنفس الدورة.

3- مشروع ميزانية نشاط النشر والتوزيع لهذه الدورة.

4- مشروع ميزانية وبرنامج الصندوق العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار لعام 99.

5- مشروع استراتيجية تعليم الكبار في الوطن العربي.

6- الخطة الاعلامية للمنظمة لعامي 1999-2000.

7- النظام الأساسي لصندوق القدس الشريف.

8- تشكيل المجلس التنفيذي للمنظمة.

9- تفويض المجلس التنفيذي اعتماد الحساب الختامي للمنظمة (الإدارة العامة والأجهزة الخارجية) عن عامي 98-1999.

10- المراجعة الخارجية لحسابات المنظمة.

11- الدراسات التحليلية للتقارير والبيانات الواردة من الدول الأعضاء في مجالات التربية والثقافة والعلوم ومحو الأمية لعامي 97-1998.

12- مقترح جمهورية مصر العربية بشأن القراءة للجميع في المنظمة-العربية.

وقد تمت مناقشة جدول الأعمال بصورة موسعة، وصودق على البنود الواردة فيه، ومن ذلك:

1- المصادقة على مشروعات الدورة المالية 99-2000. وقد خصصت للأنشطة والبرامج هذه المرة 9385716 دولارا أمريكيا.

2- المصادقة على الأماكن التي ستجري فيها أنشطة المنظمة وتشمل أغلب الدول العربية، وسيجري منها في موريتانيا ملتقى حول تصميم برامج لتدريب معلمي التدريس متعدد الفصول.

3- وبخصوص الثقافة والاعلام، تمت المصادقة على برنامج إدارة الثقافة الذي تضمن من بين نقاط عدة: - مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الدول العربية بالسعودية. والعقد العربي للتنمية الثقافية، وندوة الحوار الثقافي العربي الافريقي، وورشة عمل في الاعلام الثقافي المرئي والمهرجان العربي للثقافة العربية الاسلامية في الخارج.

4- وحول العلوم تمت المصادقة على برنامج إدارة العلوم الذي تضمن من بين أمور أخرى: تعزيز القدرات العربية على حماية التنوع البيولوجي.واستعمال التقانات الحديثة في تهيئة التقانات المحلية، وتطوير برامج التدريب والتوعية في مجال الطاقات المتجددة.

5- إدارة التوثيق من ناحيتها ستقوم حسب مقررات المؤتمر، وفيما يتعلق باللجان الوطنية بعدة نشاطات من بينها :- تدريب أمناء المكتبات

المدرسية في سوريا فلسطين وفلسطين. اجتماع معالجة الحرف العربي في الانترنيت - اجتماع أمناء اللجان الوطنية بمقر المنظمة في تونس.

6- وصودق على مشروع ميزانية نشاط النشر والتوزيع.

7- ومن بين المقررات المهمة للمؤتمر العام مراجعة النظام الأساسي لصندوق القدس الشريف بحيث يصبح صندوقا لدعم حماية التراث الثقافي في القدس.

8- وبخصوص تشكيل المجلس التنفيذي تمت المصادقة على تشكيل مجلس جديد على رأسه الاستاذ الدكتور عزت جرادات من المملكة الأردنية الهاشمية، ويمثل موريتانيا في هذا المجلس السيد الاستاذ محمد الحافظ ولد الطلبه المدير العام للمعهد التربوي الوطني بموريتانيا.

9- وقد زكى المؤتمر العام ترشيح د. غازي بن عبد الرحمن القصيبي لمنصب مدير عام اليونسكو لما يتميز من كفاءات عالية.

10- واعتمد المؤتمر مبدأ إعادة الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار كجهاز مستقل في إطار المنظمة بناء على المقترح السوري.

11- المرافقة على تلبية الدعوة التي تقدمت بها الجمهورية التونسية لاستضافة المؤتمر العام في دورته القادمة ديسمبر 2000.

12- وقد حظي مشروع: القراءة للجميع في المنظمة العربية من خلال توسيع المكتبات وتسهيل سعر الكتاب بالموافقة من طرف المؤتمر الذي نوه بالتجربة المصرية بهذا الخصوص، وتبني المنظمة للتجربة بالتعاون مع المنظمة الاسلامية (إيسيسكو) والمنظمة العالمية (يونسكو).

توصيات عامة صدرت عن المؤتمر:

صدرت عن المؤتمر مجموعة هامة من التوصيات التي مست مختلف جوانب الاهتمام المستقبلي للدول الأعضاء في المنظمة العربية وتمثل ذلك في:

1- التأكيد على أهمية المشروعات الكبرى ذات البعد القومي في أنشطة المنظمة.

2- الاستمرار في الأنشطة الخاصة بمستقبل التربية في القرن الحادي والعشرين، والجامعات وتحديات المستقبل، وسياسات القبول وتكافؤ الفرص، وتطوير التعليم الثانوي والتقني والمهني، وربط سياسات القبول باحتياجات سوق العمل وتخصصاته.

3- التأكيد على أهمية مساندة جهود الدول في مجال محو الأمية وتعليم الكبار، وتوفير موارد مالية من خارج الميزانية لتغطية المتطلبات.

4- العناية بتعليم الموهوبين.

5- الاستمرار في جهود المنظمة لوضع برامج عربية نموذجية لتعليم الكبار والابداع.

6- الاهتمام ببرامج تدريب المعلمين.

7- ضرورة إيلاء التعريف بالثقافة العربية خارج الوطن العربي مزيدا من الاهتمام مع استخدام وسائل الاتصال الحديثة للتعريف بالمساهمات العربية في الحضارة الانسانية، وتصحيح الأفكار المشوهة عن العرب والمسلمين.

8- التنسيق والتعاون مع المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة في مجال نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية بما يحقق تكامل الجهود ويمنع التداخل.

9- إيلاء مزيد من الاهتمام للتعريف بمطبوعات المنظمة وإصداراتها بما يسمح بوصولها إلى القارئ العربي ومراكز البحوث والجامعات.

10- الاهتمام بتعزيز جهود المراكز الثقافية العربية خارج الوطن العربي ودعمها بالتعاون مع المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية في الدول العربية.

11- الاهتمام بزيادة الأنشطة الخاصة بقطاع العلوم والبحث العلمي وزيادة الاعتمادات له.

12- العمل على زيادة الأنشطة الخاصة بدعم اللجان الوطنية العربية بما يسمح لها بتطوير وسائل عملها واستخدامها لشبكات المعلومات وتدريب العاملين الجدد بها، وتبادل الخبرة فيما بين اللجان الوطنية العربية.

13- ضرورة تطوير الدراسات التحليلية وذلك من خلال إصدار تقرير موحد حول التنمية البشرية في الوطن العربي.

14- العمل على تطوير الاستبانات التي تعدها المنظمة خارج البرامج وإحاطة الدول العربية بها.

15- العمل على تعميم الدراسات والبحوث التي تجريها المنظمة.

16- التأكيد على ضرورة توجيه الدعوة لمعالي رئيس المؤتمر العام لحضور دورات المجلس التنفيذي للمنظمة.

17- دعوة المدير العام للسعي لدى المنظمات العربية والدولية والمؤسسات المانحة لتوفير مصادر مالية خارج الميزانية لمشروعات الصندوق العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، وصندوق دعم وحماية التراث الثقافي في القدس، والمشروعات الأخرى.

18- إعطاء الإدارة العامة المرونة اللازمة للاستفادة من الوفورات التي تتحقق في بعض المشروعات لإغناء المشروع بزيادة الدراسات والمشاركات والخبراء بما يدعم الأهداف الأساسية للمشروع.

19- دعوة الأمين العام للاستمرار في تقييم نتائج تطبيق الهيكل التنظيمي للإدارة العامة للأجهزة الخارجية للمنظمة وتقديم تقرير بذلك للمجلس التنفيذي.

20- دعوة المدير العام إلى البدء فورا في تنفيذ الانشطة والبرامج التي اعتمدها المؤتمر العام، وبحث يكون التنفيذ بدءا من أول عام الدورة المالية.

21- التأكيد على تفعيل دور التقييم والمتابعة الفنية والمالية للمشروعات والبرامج.

تميزت الخطة العامة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المحددة من طرف المؤتمر العام في دورته الرابعة عشر بعدة ميزات نوجزها فيما يلي:

أولا: تعتبر خطة العمل شاملة بحيث غطت مختلف الاهتمامات والعناوين البارزة في مجال اختصاص المنظمة.

ثانيا: تعتبر الخطة مستقبلية حيث أنها وضعت في الحسبان عناوين مستقبلية بارزة لاي عمل جاد يسعى لرفع التحدي الحضاري الذي تواجهه الحضارات غير المتكيفة مع واقع العصر الذي يتصف بقوة الخصوم واستعدادهم اللامحدود لكسب معركة السيادة الحضارية. من تلك العناوين عنوان التحديث الإعلامي أسلوبا وشكلا وتطبيقا، لأن أي نشاط لم يجد مداه الاعلامي في هذه الأيام لا يتعبر ذا أهمية. فهو بمثابة ذخيرة جيدة لكن لا صاعق لها يوصلها إلى هدفها.

من جملة الاهتمامات المستقبلية أيضا تشجيع الروح الابداعية، إذ بها وحدها يمكن أن تخرج أمة من الأمم من ارتهانها لواقع متخلف لا تستطيع براحه.

ثالثا: تميزت خطة العمل أيضا بوضع القواعد لضمان الشفافية في تنفيذ البرامج والرقابة المالية على الصرف سدا لأي ثغرة، كما أن المتابعة حظيت باهتمام بارز في الخطة.

رابعا: تميزت الخطة بالانفتاح للشراكة مع المنظمات المهتمة. وكان أهم ما تضمنته الخطة هو إيجاد سبيل يضمن التكامل والحيلولة دون التداخل عندما يتعلق الأمر بنشاط المنظمة العربية (الكسو) والمنظمة الاسلامية (إيسيسكو)، إذ يعتبر التكامل في غاية الأهمية للطرفين لما له من رواجع في اختزال الجهود وزيادة المردود الميداني. وربما يكون التركيز على محاور التنسيق التي تتقاطع في الاهتمام المشترك، وإمكانية التكامل فيه موطئ قدم لعمل مستقبلي بناء، خاصة عندما يتعلق الأمر بالنشاطات خارج الدول العربية.

خامسا: الخطة طموحة، وواقعية في نفس الوقت، ولذلك فإنها قابلة للتطبيق.

ويبقى الرقم الصعب دائما في كل عمل هو استعداد الأعضاء وأفراد الطاقم العامل في المنظمة لرفع التحدي الحضاري الثقيل، الذي لا غنى له عن ردم الفجوة بين أملنا وواقعنا والجهد المخلص والتضحية كفيلان بوضعنا حيث يجب أن نكون نفسيا وعقليا وعمليا، حتى نرفع جبل

التحدي الذي نتقته حضارات أخرى فوق رؤوسنا كأنه ظلة، ولن نتجنب وقوعه على رؤوسنا إلا بزرع أصله سواعد تطوح به بعيدا عن حمانا. وعندها نكون قد أجبنا عمليا على الاستشكال الظامئ:- لماذا نتأخر ويتقدم غيرنا؟ وتكون المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد اسهمت اسهاما حساسا في الاجابة على هذا السؤال الذي يجب أن نقدم عليه إجابة بعد طرحه قرنا من الزمن.

الاعلان عن جائزتي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

في إطار تشجيع الفكر والثقافة والأدب قامت المنظمة هذه السنة 1999 باسناد جائزتي الثقافة العربية والإبداع الأدبي في مجال النقد ل د. قسطنطين زريق و د. وفيق اسليطين، وذلك حسب ما جاء في الاعلان التالي:

"تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن اسناد الجائزة التقديرية في الثقافة العربية وموضوعها " الفكر القومي العربي ومرتكزات الثقافة" الى المفكر الكبير الاستاذ د. قسطنطين زريق، بناء على قرار لجنة تحكيم الجائزة المؤلفة من كل من الاستاذ محمد حسنين هيكل و د. خير الدين حسيب، والاستاذ جميل مطر ود. هشام جعيط.

ذلك أن قسطنطين زريق- كما جاء في تقرير لجنة التحكيم - مفكر قومي أصيل أثرت أفكاره على أكثر من جيل من خيرة متقفينا العرب لمدة تزيد عن خمسين سنة، وهو مواصل عطاءه الفكري في أبعاده القومية العربية والانسانية من كتابه الأول " الوعي القومي" الصادر عام 1939 الى كتابه الأخير :" ما العمل؟" الصادر عام 1998.

كما تعلن المنظمة العربية عن اسناد الجائزة التشجيعية في الابداع الأدبي إلى الدكتور وفيق سليطين عن كتابة " الزمن الأبدي: الشعر الصوفي، الزمان، الفضاء، الرؤيا" بناء على قرار لجنة التحكيم المؤلفة من كل د.جابر عصفور ود, محمد براده و د, محسن الموسوي، ود. فيصل دراج و د.حمادي صمود، وذلك لما يتميز به الكتاب من تحليل متماسك منهجا وتأويلا ولغة".

الجدير بالذكر أن مبلغ جائزة الفكر القومي العربي تبلغ 25000 دولار بينما تبلغ جائزة الابداع الأدبي 10000 دولار.

محور التربية

تقنيات التدريس المحظري

حد أمين بن اسلم جامعة انواكشوط

من المهم ان نمعن النظر في الاليات التي كانت تحكم التدريس المحظري بصورة عامة وأهم من ذلك أن تكون هذه النظرة من داخل، أي أن تكون صادرة عن أحد الذين درسوا بها. وسوف يغلب الوصف على هذه المعالجة، وإذ ذاك فإن الهدف الاساسي الذي يرتسم خلف هذه السطور هو تعريف القارئ اللامحظري بالتقنيات التربوية الاجرائية المعمول بها في هذه المؤسسة؛ وهي تقنيات تهدف إما إلى ترسيخ الحفظ او تمكين الفهم. وترسيخ الحفظ في حالة ما إذا تعلق الامر بالنص القراني وتمكين الفهم في حالة ما إذا تعلق الامر بالنصوص الفرعية الفقهية أو بالنصوص المتعلقة بالقران، على أن مسألة الحفظ تظل في كل الحالات مسألة عامة.

1- تقنيات التحفيظ: التحفيظ في المحظرة هو أساس كل شيء إذ أن أصغر مفهمة ما لم تبن على محفوظ تبقى معرضة للنسيان، والمحفوظ قد يختلف اختلافا كبيرا فقد يكون نصا أصليا وقد يكون قاعدة وقد يكون شاهدا وقد يكون مثالا وقد يكون أستثناء... إلا أن أهم نص تركزت حوله تقنيات التحفيظ هو القران.

1-1: لاشك أن تقطيع القران إلى أثمان ومن ثمة إلى أحزاب يتماشى مع الاحساس بالهم التربوي، فإذا كان التحزيب مسألة توقيفية إطلاقا فإن التثمين مسألة إلى حد ما توقيفية أي أنها اختلف بشأنها رواة القران، والمهم أن المستويات التي يتم التعامل مع القران على اساسها (ايات - أثمان - أحزاب)(1) هي مستويات يتم إخضاع المتعلم لها، فهو يبدأ بالحرف محركا أي بالمقطع القصير ثم يأتي إلى الحرف ممدودا بمد يناسب الحركة أو بالحرف منونا بجميع الحركات أي بالمقطع الطويل، ثم يأتي إلى الكلمة والكلمة في هذا المستوى لا تخلو من أن تكون كلمة مركبة تركيبا عشوائيا من الابجدية العربية أو تركيبا يحترم تقيطا معينا أو تركيبا يحترم تتابع الابجدية العربية(2)، والمهم في كل الحالات أن يرد الحرف ضمن تركيب، ثم يأتي إلى النصوص، وها هنا يمهد للتلميذ بنصوص غير القران(3) حتى يتمرن على التهجي قبل القران كي يبقى هذا الأخير بعيدا عن عبث المبتدئين من النطق الفاسد و التصحيف.

2-1: وحين يبدأ كتابة القران يعود من جديد إلى كلمة ويبدأ التدريج معه، وهاهنا تختلف السبل بالدارسين تبعا لاختلاف استعداداتهم الفكرية والذهنية، وينتقل المتعلم عموما من المستويات الدنيا الى المستويات العليا وفق منهجية للتحفيظ صارمة حتى لا يبقى أبسط خلل في عملية المكتوب قراء وحفظا ومن أساسيات تلك

المنهجية الانكباب على المكتوب مباشرة بعد كتابته وتمريره على مسامع الشيخ مرات حتى يتم التأكد من سلامته ثم الانزواء به وتكراره على الأقل خمسين مرة في نفس الصبيحة ثم العودة إليه ظهرا وإعطائه عددا مماثلا من التركرار وحينها يفترض أن يكون التلميذ قد تمكن من حفظ مكتوبه وعليه أن يعود إليه في المساء وفي فجر الغد ولكن هذه المرة للحفاظ على ديمومة حفظه في الذاكرة، أي أنه خلال اربع وعشرين ساعة يعود المتعلم إلى مكتوبه اربع مرات مرتين للتمكن من حفظه ومرتين لترسيخه في الذاكرة، وبعدها يمكنه أن يضيف مكتوبا جديدا، وإذا لم يتمكن من حفظه فلا يمكنه أن يضيف أي مكتوب جديد.

وهكذا تتوالى عملية كتابة القران. ولا تخلو هذه العملية احيانا من صعوبات ووساوس لدى المعلم فهو كثير الحرج حين يسمح للتلميذ بإضافة مكتوب جديد فليست لديه وسائل قياسية دقيقة تخوله التأكد من ترسخ هذه المادة في ذهن المتعلم، ثم ان بعض الناس سريعوا الحفظ لكنهم مع ذلك سريعوا النسيان فهل ينبغي التريث في هذه الحالة حتى لا يصدق عليه «غسل ووسخه»

3-1: تكرار المحفوظ " الصورات" (4) يشكل العمود الفقري لعملية التحفيظ وهو يتم في الاوقات الاربعة المذكورة أعلاه وبعد الانتهاء من اللوح أي المكتوب، وهو يأخذ حوالي ثمانين في المائة من وقت المتعلم، وليس لتلك الاوقات ضوابط محددة فقد تكون وقت تلاوتها ليلا وقد تكون نهارا والمهم ألا تكون زوالا، ويبقى الثلث الأخير من الليل أمثل الاوقات لتمثل المحفوظ، ولذلك أكثر من تفسير يتقاطع في التربوي والديني. وهناك تقنيات معينة تمكن المعلم من تكريس الحفظ وترسيخه. فهو أولا يوضع على المحك بترشيحه لإلقاء المادة على التلاميذ من تكريس الحفظ وترسيخه ولا يخلو الامر من تحد إذ التلاميذ يكتبون الواحا من مختلف المستويات ويلزم المتعلم وقتئذ أن يكون على قدر من الاهلية يخوله القيام بذلك دون ارتباك او تباطؤ وكأنه في امتحان بالمعنى المدرسي للكلمة. وهناك تقنية أخرى أسبوعية تضع المتعلم في المواجهة مع زملائه وتكمن في مناظرته اياهم في الحفظ وتتم هذه الاخيرة أمام الشيخ والمربي ليكون حكما وفصيلا بينهم ولهذه الاخيرة وقت معين هو ليلة الاربعاء وهي تشكل شبه احتفال يخف فيه البعد التنظيمي الرسمي الذي يطبع الاشياء بطابع الكابة والملل، واخر هذه التقنيات هو تمرير القران دوريا (مرة كل عام) على شخص مشهود له بالحفظ، وحين يطمح المتعلم إلى الإجازة لا بد له من تمريره على عدة أشخاص مشهود لهم بالحفظ والاتقان لكنه في هذه الحالة - أي حالة الاجازة- لا بد أن يكون القران مصحوبا بتوابعه وخاصة الرسم والمقرأ"

2) تقنيات الافهام: تمارس هذه التقنيات خاصة فيما يتعلق بالفقهيات وتوابع القران. بديهي أن المتعلم في هذه الحالة لا يمر بمراحل التهجي ولا التمرين التدريجي على القراءة والكتابة لأنه يفترض أنه تخطى تلك المرحلة. إن أهم نص من نصوص الفقه هو " مختصر خليل" وقد تم تقطيعه على أثمان بغية جعله وحدات مفهومية يمكن للمتعلم أن يمرحل على أساسها تعليمه، وقد لا يكون للمتعلم مستوى يخوله كتابة القف كاملا لكنه على كل حال لا يمكنه تجاوز القف حتى ولو كان حاد الذكاء.

1-2: من الأمور التي يجب ملاحظتها بصدد تقنيات التعليم المحظري كون المتعلم يبدأ له في النصوص

المنظومة، ويبدأ له بأكثرها بساطة، لأن ذهنه في هذه المرحلة لا يستوعب إلا الاشياء البسيطة. وأكثر النصوص شيوعا للمبتدئين هو النص المعروف بابن عاشر في الفقه والاجرومية في اللغة، ورسم الطالب عبد الله في مكملات القران وابن بري في المقرأ. وها هنا يمكن القول بأن الهاجس ليس هاجس فهم بل يضاف إليه هاجس الحفظ.

2-2: الافضل للمتعلم حين يتعلق الامر بفهم النص انضمامه إلى مجموعة تدرس نفس النص(5) حتى يكون كل واحد من تلك المجموعة مكملا للاخر على جميع المستويات، أو على مستوى تمثل النص. وثانيا على مستوى مراجعته. وأخيرا على مستوى إثرائه بالاستشكالات والاسئلة.

3-2: يتم الاعتماد في الفهم على الاستماع الى الشيخ مباشرة دون واسطة، فالكتاب في هذه العملية وسيلة تربوية ثانوية حتى تكرس بذلك المبدأ المحظري: " العلم من أفواه الرجال لا من بطون الكتب"، وحين ينتهي المتعلمون من الاستماع الى الشيخ ينظمون حلقة تعليمية فيمابينهم خلالها يتمرن كل واحد منهم على افهام زملائه المادة العملية المدروسة ذلك اليوم، ويستحب في هذه العملية أن يقوم كل واحد منهم بدوره. وبعد هذه الحلقة تنظم حلقة ثانية للمناظرة يتم خلالها طرح الأسئلة وغالبا ما تكون الاسئلة واردة من أكثر عناصر المجموعة ذكاء، وقد يتم اللجوء الى الشيخ بفضل خلاف ما حول فرعية معينة، وقد تنتهي الحلقة دون أي خلاف.

الهوامش:

1) من المهم التنبيه على أن التعليم المحظري الموريتاني لا يلقي بالا كثيرا بالسورة كمفصلة من مفاصل القران على أساسها يبوب ويشرح وذلك على العكس مما تفعله الكتاتيب في البلدان الاسلامية الاخرى، إذ السورة هي المفصل المفتاح. والحالة الوحيدة التي يكون فيها " التسوير" مهما في التعليم المحظري هي تعليم النساء حيث يتم في الغالب تحفيظهن سورا بعينها قصد التعويذ والابتهال والاستجاء"المنجيات"

2) لا نملك تفسيرا علميا حصيفا لورود الابجدية على هذا الترتيب، ومعلوم أن أبجدية التنقيط (ابجد هوز حطي...) هي غير أبجدية التهجي من حيث التتابع والتسلسل (أ- ب - ت - ث -...) فما السر في ذلك وكلما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن الابجدية الالفبائية قائمة على منطق التشاكل كل الخط (الثلاثينات - الستينات - الاحاد)

3) يحتاج اختيار هذه النصوص لدراسة خاصة، فلماذا مثلا تم اختيار نص مثل: خاللي عوجا بالمحصب وانزلا...، ونص مثل التاحيات لله الزاكيات لله الطيبت... إلخ ومعلوم أن خاللي ليست إلا تحريفا نطقيا لخليلي. وهل هذه النصوص يتم التمهيد بها في جميع المحاظر الموريتانية.

4) تصحيف نطقي لكلمة سورة وجمع مكسر لها وهو ذو دلالة خاصة في القاموس المحظري حيث يعني ما تم حفظه من القران ولو كان أقل أو أكثر من سورة.

5) تعرف هذه الظاهرة في القاموس المحظري باسم"الدولة" ربما لهذه الكلمة قرابة من معنى الاجتماع والألفة.

الأهداف الاجتماعية والاقتصادية للتعليم الأساسي الموريتاني

محمدن ولد محمد عالي
باحث موريتاني

إن الأهداف الاجتماعية والاقتصادية مترابطة ومع ذلك سنتحدث عنها فيما يلي:

1- الأهداف الاجتماعية:

يهدف التعليم الأساسي في موريتانيا الى غرس مجموعة من القيم الاجتماعية في ذهن التلميذ (1) لتكون دليله وموجهه الأساسي في سلوكه كفرد ينتمي إلى مجتمعه. كما يهدف الى تعزيز الروابط بين أفراد المجموعة الوطنية وخلق انسجام وتوافق اجتماعي بين مختلف الأعراق والسلالات المختلفة التي يتكون منها السكان في هذا البلد.

ففي الماضي لعب التعليم الأصلي (المحاظر)، كما مر بنا، دورا كبيرا في حياة السكان وتوحيدهم (2) وفي الوقت الحاضر، تم تحديد مجموعة من الأهداف الاجتماعية شكلت الخطوط العامة للسياسة التربوية في هذا المجال، يمكن اجمالها فيما يلي(3).

1- مد التلميذ بالمعارف والعلوم التي تمكنه من تحمل مسؤولياته الاجتماعية والوطنية.
2- غرس روح الجد واحترام العمل .
3- الحرص على الالتزام بالاخلاق الحميدة والقواعد الاجتماعية المتعارف عليها.
4- التخفيف من وطأة الجفاف.
5- تنمية الوعي الصحي.
6- احترام الآخرين، وخاصة الأبوين.
7-الصفاء والنصح في الصداقة.
8- تنمية فكرة العدالة.
9- دعم الوحدة الاجتماعية والوطنية (4).

فهذه المجموعة من الأهداف يمكن استنباطها من النصوص القانونية واللوائح المدرسية، ولكنها أوضح في المقررات والبرامج الدراسية، لأن هذه المقررات صممت لغرس القيم والمفاهيم السابقة في ذهن التلميذ كأهداف متوخاة(5). ونعتقد أن انتقاء واضعي الأهداف التعليمية للقيم السابقة، ينبع من حاجات ومتطلبات اجتماعية ملحة.

فإذا تأملنا كل هدف من هذه الاهداف على حدة، نجد أنه يمثل تحديا وطنيا واجتماعيا. فالنتتبع بايجاز كل واحد منها.

1- مد التلميذ بالمعارف التي تمكنه من تحمل المسؤوليات:

ان هذا الهدف يستجيب للحاجة الوطنية الملحة الى تكوين عنصر بشري قادر على

تحمل المسؤوليات العامة، في مجتمع بدوي، وتغلب على أفراده النزعة القبلية والمصالح الضيقة على حساب المصلحة العامة.

2- غرس روح الجد واحترام العمل.

هذا الهدف له علاقة وطيدة بالهدف السابق وربما كان التركيز على احترام العمل ينبع من طابع الكسل وعدم الجدية الذي يطبع حياة الكثير من سكان المدن، كما أن معظم الموريتانيين ينبذ الأعمال اليدوية وبعض الحرف المهنية مما جعل هذه الأنشطة وقفا على الأجانب (6).

3- احترام القواعد الاجتماعية المتعارف عليها:

إن هذا الهدف من صميم الغاية التربوية والعملية التعليمية، للمحافظة على القيم والمعايير التي تواضعها المجتمع، كصمام أمان لاستقراره والمحافظة على كيانه. ولكن ماذا عن بعض القيم والعادات الموروثة التي لم تعد تستجيب لمتطلبات الحياة العصرية، مثل القبلية وعدم الخضوع للسلطة والقانون؟ إن التعليم بدون شك، كما سنرى في الفصل الثالث الخاص بالنتائج والتصورات، ينبغي أن يحافظ على بعض القيم الحية، لكنه مدعو لتغيير تلك القيم التي لم تعد صالحة لزماننا.

وهذه المشكلة تمثل تحديا كبيرا للنظام التعليمي الموريتاني، كما سنرى فيما بعد.

4- التخفيف من وطأة الأمية:

هناك جهود ضخمة تبذل في هذا الصدد، فقد انشئت كتابة دولة (وزارة) لمحاربة الامية سنة 1988، امتدت فروعها وأنشطتها وعملياتها في جميع التراب الوطني، وذلك لدعم جهود التعليم العام.

وقد أسفرت هذه الجهود عن حصيلة مهمة لكن التحديات لا تزال قائمة.

5- تنمية الوعي الصحي:

إن مادة الصحة تحتل المكانة الرابعة في المقررات المدرسية بعد الدين والحضارة والاخلاق(7)، والهدف منها هو تنمية الوعي الصحي لدى التلميذ في مجال التطعيم ضد سبعة أمراض متفشية في البلاد (8) وفي النظافة والوقاية الصحية.إلخ.

6- أما الاهداف المتعلقة باحترام الآخرين، والنصح في الصداقة، وتنمية فكرة العدالة، فإنها قيم أخلاقية ضرورية لبناء مجتمع متعاون تسود فيه الثقة والاحترام.

7- دعم الوحدة الوطنية والاجتماعية

رأينا في السابق، أن التعليم التقليدي نهض بدور بارز في دعم الوحدة الوطنية والاجتماعية بين مختلف مكونات المجتمع

من قبائل وزنوج وعرب... إلخ، ولهذا اعتمدت الحكومة الموريتانية، بعد الاستقلال على التعليم كأداة لتحقيق هذا الهدف (9).

فالمجتمع الموريتاني، منقسم الى فئات وقبائل وأعراق مختلفة، ويظهر فيه الجنس والأصل معيارا لتوزيع الأدوار والوظائف(10) و الحكومة أدركت أهمية التعليم في هذا المجال فالبرامج لم تصمم أصلا بشكل يدعم التجانس الاجتماعي، رغم أن البرامج الدراسية مهمة في هذا الصدد (11) والمثال الأمريكي - على علاته - يؤكد أهمية النظام التعليمي في مجتمع متعدد الأجناس والأعراق. فالولايات المتحدة الامريكية تتكون من أجناس بشرية مختلفة كاليهود والهنود الامريكيين (السكان الأصليين) والبيرتوريكيين والمكسيكيين واليابانيين والصينيين والعرب بالاضافة الى الأنجلوساكسونيين والمجموعات الوافدة من أوروبا (12) والمسيطرة على زمام الأمور بهذا البلد. ومع ذلك تمكن النظام التعليمي - الذي صمم في الأصل كأداة لاحداث التجانس (13) في المجتمع الأمريكي - من صهر السكان في اتجاه قيم الطبقة المتوسطة الأنجلوأوروبية (14) رغم الكثير من المشاكل التي لا تزال تطرح.

إذ يبقى السؤال حول ما إذا كان النظام التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية قد قضى على مخلفات التمييز العنصري ضد الزنوج والسكان الأصليين. ومن المؤكد أنه لم يستطع تحقيق هذا الهدف، لكن المهم أن البرامج صممت لتحقيق التجانس الذي حدث في اتجاه قيم طبقة معينة. أما في موريتانيا، فرغم الاحساس بأهمية التعليم في دعم الوحدة الاجتماعية، إلا أن البرامج، كما هو واضح من خلال المقررات والاصلاحات، لم تصمم لتحقيق هذا الهدف بصورة مثلى ، مما جعل التعليم يعجز أحيانا عن تحقيق كثير من أهدافه في هذا الصدد. ولذلك ينبغي أن يكون هناك حل ديمقراطي عادل لمسألة التعليم، حتى نجعل منه عامل وحدة وطنية وتتنوع في آن واحد.

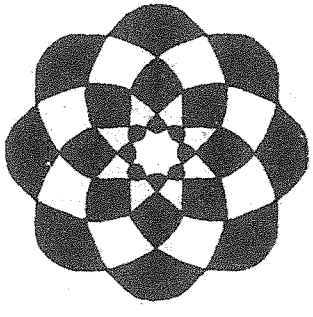

المكتبة المدرسية ضرورة تربوية وتثقيفية في موريتانيا

محمد المختار ولد محمد المصطفى
باحث موريتاني

"إن حياة الكائن تدين باستمراريتها للاضافة والأخذ والعطاء من مشمولات المحيط أو مايعبر عنه في علوم الحياة بخاصية التمثيل الغذائي. والانسان ككائن حي يتمتع بنفس الخاصية وبصفته المميزة يتشكل فعل التمثل المعرفي الذي يتراكم ويتفاعل بدرجات تحددها مستويات الاتصال".

ويأتي هذا البحث المتواضع مساهمة في اعداد الانسان للتكيف مع المحيط السائر بسرعة العبقرية الانسانية التي لا يعرف حدود المدى الذي قد توصل الحضارة البشرية إليه إلا الله تعالى عالم الغيب والشهادة. ولكي تكون مساهمتنا في بناء هذا الصرح واستفادتنا من ثمراته ذات مستوى يليق بمركزنا في العالم كجزء من أمة أخذت وأعطت للعالم وتريد أن تعطي وتأخذ لتبقى كريمة معززة وموجودة بحضارتها الشمولية، لابد من ان نمتلك الأساليب والوسائل التي تسمح لنا بأن نكون مكونا فاعلا في هذا الواقع، وامتلاك وسائل النماء المعرفي وآليات التربية. يأتي في مقدمة هذه الوسائل والأساليب الكتاب والمكتبة. فلعل الكتاب والمكتبة يحتلان في تاريخ الإنسانية مركز الصدارة في حفظ التراث وتبادل المعارف والآراء والأفكار عبر الزمان والمكان وتنشئة أبناء أمتنا على التعامل مع المكتوب والمقروء وتنمية حب المطالعة والاستعانة بالافكار المدونة عن وعي واستبعاد المشافهة والتلقائية في اكتساب المعارف ضرورات تمليها متطلبات العصر وهكذا فقد ارتأينا عن نتساءل عن المكتبة المدرسية كضرورة تربوية ثقافية في موريتانيا من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: تناول نشأة وتطور النظام التربوي الثقافي في موريتانيا

عرفت المنطقة التي يطلق عليها اليوم اسم موريتانيا في التاريخ العربي الإسلامي ببلاد شنقيط وصحراء الملثمين أو البلاد السائبة نوعا من انتشار المعارف الدينية واللغوية والشيوع أثار اهتمام الكثيرين مما دعا البعض الى اعتبارها أرض الشعراء والفقهاء والحفاظ ورغم ذلك فإن تعاطي المعارف في هذه المنطقة لم يكن خاضعا لأنظمة ومناهج محددة يسير عليها الجميع، لأنه بعد انحلال دولة المرابطين في المغرب الأقصى لم تعد المنطقة خاضعة لسلطة مركزية تنظم وتدير الشأن العمومي بما فيه شؤون التربية والمعارف.

وبقيت هذه الشؤون تدار كوحدات من أنساق المجتمع التلقائي الذي يبتدع الشروط التي تؤدي الى استمرار ثقافته وتكيفه مع المحيط الطبيعي" الحل والترحال" طلبا للكلإ والماء وممارسة أنماط بسيطة من الزراعة، اضافة الى جني الثمار الطبيعية التي تعطيها الاشجار.

والثقافي: حفظ القرآن الكريم وأشعار العرب والفقه المالكي والمتون اللغوية على النحو والصرف والمعاجم والسيرة النبوية وتاريخ العرب إلى آخر ما هنالك من تعاطي المعرفة.

وقد تأسست لتحقيق هذه الأهداف مدارس شنقيطية عرفت بالمحاضر وهي التشكيلات التعليمية الأولى في هذا المجتمع، وقد كانت جزء من كيانه، أي أنها تسير وفق أنماطه التقليدية، إذ أن خريطة المهن والمكانات كانت تتحدد وفق تلك الشروط. فعلى الرغم من أن لحمة المجتمع تتأسس على العقيدة الاسلامية وتعاليم الشريعة التي تفتح بطبيعتها فرصا متكافئة أمام الجميع لأخذ المركز والمكانة بحسب قدرة الإنسان على الكسب بالعمل الصالح في المجالين الديني والدنيوي، فإن مجتمع موريتانيا العربي الصنهاجي الإفريقي شهد انقسامية فنوية اجتماعية تتجلى في نوع من التخصص المهني والتمركز في المكانات والأدوار الاجتماعية.فهناك هرم على قمته فئة المجاهدين والمحاربين، مجموعة السيف والهيجاء ومجموعة التعليم والقلم، ومجموعة الانشطة الاقتصادية. ولم تكن أكثرية رواد هذه المحاضر إلا من الفئة الثانية، حتى أصبحت أشبه ما تكون بالتوارثية، والمجتمع

لا يتوقع العلم إلا من أبناء"الطلبه الزوايا، أو المرابطيين". (الألقاب المحلية لهذه الفئة). أما الفئات الأخرى فإن اكتساب المعارف يزيدها على أية حال ولكن عدمه لا يعاب عليها في المجتمع التقليدي الموريتاني خلافا لأبناء الزوايا.

هذه الإشارة قصدت من ورائها أن واقعنا الثقافي التقليدي على ما فيه من ذخائر المجد وما حققه من نشر للدين والمعارف في أفريقيا، وما تبادله مع الشرق العربي الاسلامي على يد أعلام من الشناقطة تعرفهم الساحة العالمة في الوطن العربي والعالم الاسلامي يحفظهم الفائق وموسوعيتهم المتميزة، هذا الواقع خلف آثارا سلبية على مستوى توزيع المعارف في الخريطة الاجتماعية المحلية، وهي آثار تؤثر لحد الآن على مستويات التكيف التربوي. ورغم أننا لا نمتلك أدلة مادية على أن نمطا من أنماط الاحتكار المعرفي والانغلاق الفئوي إلا أن المخيال الاجتماعي إلى حد اليوم ومن خلال النكت التي قد يلاحظها المعايش للواقع تشير إلى نوع من الرواسب المؤثرة سلبا على مشاعية المعرفة.

والأهم من ذلك أن نمط التعليم في المحاضر يرتكز على التلقين والحفظ والرواية الشفهية "فالعلم من أفواه الرجال لا من بطون الكتب". وذلك يعود بطبيعة الحال إلى الظروف حيث أن الحياة البدوية القائمة على الحل والترحال وعدم الاستقرار اللهم إلا ما كان من حواضر تشكلت لأغراض تجارية على طريق القوافل (شنقيط ،ولاته، وادان)، جعلت من اتخاذ "ظهور العيس مدرسة" لا يسمح بتوفير واقتناء الكتب وليس هناك وقت للجلوس للمطالعة. كما أن الورق والكتب كانت قليلة، وما يستجلب منها من الحواضر المغاربية أو المشرقية أو ما ينتج محليا كان قليلا، وأكثرها تلك المنظومات الوجيزة التي يسهل حفظها. وقد كان اللوح هو الوسيلة التعليمية المناسبة حيث لا تلبث الكتابة عليه إلا الفترة التي تمكن التلميذ من الحفظ فيغسل تلك الكتابة ويكتب الدرس اللاحق.

وعلى الرغم من شح هذه الوسائل فإن الانظمة العرفية التربوية في هذه التشكيلتا "المحاضر" تمكنت من تخريج علماء فاقوا

اقرانهم في أعرق المدن العربية والاسلامية في المشرق والمغرب. إلا أن ذلك لم يؤد إلى سهولة توزيع وشيوع المعرفة فأصبحت تلك الميزة غالبة في نمط حياة الموريتانيين الشناقطة. ومن الاعراف التربوية في مؤسسات المجتمع هذه أن القليل من الكتب إن وجد يبقى خاصا بمطالعه وبحث العلماء أو كبار الطلاب، لأن هناك اعتقادا شائعا بأن الاعتماد على الكتاب يضعف الذاكرة، والذاكرة هي أداة البدوي لحفظ المعارف.ولقد بينت المقولة الشعبية ذلك " إل ما يعرف النص يبك يطمس". إضافة الى تخوف بعض الناس من زلات الفهم، إذا تم أخذ المعلومات من الكتب ومثال "خلط القارىء بين الحبة السوداء والحية السوداء" حجة متداولة بين الموريتانيين. وعموما فإن المكتبات في هذا المجتمع ظلت قليلة والمطالعة أقل، ومع ذلك فإن هنالك مخطوطات ومكتبات محدودة خاصة في الحواضر أعلاه، ولدى بعض العائلات المتعاطية للعلم.

وبعد الاحتلال الفرنسي وانتهاء المقاومة المسلحة ظلت المقاومة الثقافية محتدمة إلى أن رحل الاستعمار الفرنسي 1960. ففي فترة الاستعمار المباشر التي استغرقت زهاء نصف قرن من الزمن ظلت الحالة التربوية بالنسبة للمجتمع التقليدي ترواح مكانها، في الوقت الذي حاولت الادارة الاستعمارية إنشاء مدارس من أهم أهدافها تكوين تراجم وكتاب إداريين. وعلى الرغم من سعي الفرنسيين الى نشر ثقافتهم ظل الكتاب محدودا وظلت المكتبات محدودة كالمدارس نفسها. بفعل عزوف المجتمع عن التعامل مع المستعمرين (النصارى) وثقافتهم لقوة الارتباط في مخيلة المجتمع مابين الانسان وعقيدته من جهة وما بين اللغة والدين من جهة أخرى وهي علاقة نجد مبررها المنطقي والتاريخي في التلازم بين الدين الاسلامي واللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم وبينه النبي عليه الصلاة والسلام . ولكن المخيلة العمومية لهذا المجتمع لم تمكنه من ادراك أن النصرانية وإن كان جل معتنقيها في الوقت الراهن هم من الغرب لم تنزل بلغات هؤلاء القوم، وأن معرفة اللغة وإن كان له أثر على الفكر، فإنه لا يستوجب بالضرورة التأثير السلبي على

المعتقد وإنما قد يساعد على نشر الدين إلى أمم أخرى ومجادلة الملل الأخرى مما يوسع خريطة الاسلام. إلا أن المقام على أي حال ليس مقام تقييم ومحاكمة وإنما مقام وصف وتحليل لوقائع تاريخية مضت وتركت آثارها على الحاضر، وشكلت هما من همومنا اليوم، وهو ما جعل الادارة الوطنية بعد الاستقلال تعمل على خلق مناخ تتم بموجبه وبصفة تدريجية محاولات للتصالح بين الدولة والمجتمع وتعمل على الموائمة بين نمطين من التعليم: التعليم الاصلي المحضري الذي يبنا بعضا من خصوصياته وأنظمته ونتائجه والتعليم الرسمي. ولتعزيز هذه المحاولة عرف البلد إقامة العديد من المدارس وظهور مكتبات عامة للمطالعة وجمع وتطوير المخطوطات في المكتبات التقليدية.

1- المكتبات العامة في موريتانيا: (أدرجنا ضمن هذا المفهوم المكتبات الجامعة)

لاحظنا أن الكتاب بصفة عامة ظل سلعة نادرة في المجتمع الموريتاني. ولكن أهميته لم تكن غائبة، خاصة عن العلماء وكبار الطلاب، فقد أشادوا به في اشعارهم وتوجيهاتهم وتنقلوا بحثا عنه وعقدوا الحلقات لاستنساخه، وأدى ذلك الى ظهور بعض المكتبات العائلية، إلا أنه بعد الاستقلال ظهرت مكتبات عمومية يرتادها طلاب العلم من كل أنحاء البلد، غير أنها متمركزة بالدرجة الاولى في انواكشوط. ومن أهم هذه المكتبات إضافة للمكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والتوجيه الاسلامي، المكتبات التابعة لجامعة انواكشوط : المكتبة المركزية للمطالعة، ومكتبات الكليات الثلاث التابعة للجامعة (كلية العلوم والتقنيات، كلية العلوم والآداب الإنسانية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية).

كذلك المكتبات التابعة للمعاهد العليا كالمعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية والمدرسة العليا للتعليم والمدرسة الوطنية للإدارة ومعهد الدراسات العربية والاسلامية في موريتانيا التابع لجامعة محمد بن سعود الاسلامية.

تنضاف إلى ذلك مكتبات تابعة لمراكز ثقافية عربية واجنبية كالمركز الثقافي العربي المصري والسوري والمغربي والدعوة

والارشاد السعودي والمركز الفرنسي والروسي.

2- : المكتبة المدرسية ضرورة تربوية:

تناولنا مفهوم المكتبة عامة باعتبارها مؤسسة ثقافية اجتماعية توجد في مجتمع من المجتمعات تهدف لخدمته عن طريق جمع المواد الثقافية التي تساعد ذلك المجتمع أفرادا وجماعات على زيادة ثقافته وترقية حصيلته الحضارية وتحقيق متعته وتسليم تلك المواد للأجيال سليمة نامية متطورة، وتنظيمها تنظيما يضمن حسن الاستفادة منه كأداة رئيسة من أدوات الاتصال بالمعنى الواسع. وأما المكتبة المدرسية فهي مؤسسة ذات صلة بالنظام المدرسي، أي أنها تخدمه وتتيح للتلاميذ والمدرسين الدعامات التربوية الضرورية وخصوصيتها إنها جزء من النظام التربوي من حيث اهدافه ومقرراته فهي تساعد في نمو المعارف وتدريب التلاميذ على التعليم الذاتي والحرية في ممارسة التحصيل وتحقيق المتعة وتأكيد الذات والاطلاع على ثمرات الثقافة.

أما عن الواقع التربوي في موريتانيا اليوم فبينا فيه بالارقام اعداد التلاميذ والدروس في المرحلتين الاساسية والثانوية وتوزيعهم الجغرافي ونسبة التمدرس ومستوى الأمية والتوزيع الجنسي للتمدرس ولمحة عن المستوى التحصيلي من خلال درجات الامتحان العامة وذلك لاستشراف مدى الحاجة الى الدعامة التربوية عامة والكتاب والمكتبة المدرسية بصفة خاصة لنخلص بالتالي الى واقع المكتبات المدرسية وطموح السلطات في موريتانيا. هذه المكتبات التي تكاد تكون منعدمة في مدارس التعليم الاساسي، في حين يوجد عدد قليل منها في مؤسسات التعليم الثانوي بحاجة الى الكثير من التطوير، كما أن هناك مكتبات مركزية في عواصم الولايات الادارية تابعة للمعهد التربوي الوطني وقد اختتمنا البحث بملاحظات حول أهم الادوار التي يمكن ان تلعبها المكتبة المدرسية في مجال تنمية حب المطالعة.

إقتراحات عملية:

تنمية الرصيد الثقافي لدى التلميذ.

تنمية روح البحث والتكيف مع نظم المكتبات والتعليم الذاتي.

خلق توازن الحواس في زمن ثقافة التلفاز.

المحور الثقافي

قراءة :

لثنائية التلاقي والاختلاف في تحديث الرواية العربية عند روائيي الحساسية الجديدة: الغيطاني وصنع الله ابراهيم نموذجا.

* محمد الأمين ولد مولاي ابراهيم/
باحث موريتاني مقيم في القاهرة

0.0 - تنازع القول في هذا الموضوع قصدان اثنان: قصد عام يرتبط بمسألة تحديث الرواية العربية، وقصد خاص يرتبط بمسلك كل من جمال الغيطاني وصنع الله ابراهيم في جهود هذا التحديث وصيغ تحققه. ولئن كان مجال القول في القصد الأول يدفعنا إلى دائرة من القول أعم وأوسع، فإن مجال القول في القصد الثاني يدخلنا دائرة من القول أخص: هي الحديث عن جهود التجديد من زاوية أكثر تحديدا هي هنا الحديث عن وجوه الاختلاف والتلاقي بين مسلك كل من الروائيين المذكورين في جهودهما التجديدية.

1.0- ولما كانت دائرة القصد الخاصة هي مناط التساؤل وكانت أيضا المدخل لتحقق القصد العام، كان لزاما علينا الانطلاق في تحليلنا لهذا التساؤل من دائرة مجال القول الخاص منطلقا ولبنة للانفتاح على دائرة القول العام: والأسئلة التي تطرح نفسها هنا أسئلة كثيرة ومتعددة لعل أهمها التساؤل عن وجود الثنائية ذاتها: فهل هناك وجوه اختلاف ووجوه تلاق بين مسلك كل من الغيطاني ومسلك صنع الله ابراهيم لتحديث الرواية العربية؟ وهل اختيار كل منهما مسلكا مغايرا للآخر أدى إلى تجديد هذه الرواية؟ وهل يؤدي تحقق القول معنا في هذه الدائرة من التحليل القصد العام من التساؤل المتعلق بتجديد الرواية العربية؟ وهل يمكن أن نقول إن الاختلاف والتلاقي بين الروائيين العرب كانا دائما مصدر تجديد الرواية العربية؟

2.0- لقد انبنى القصد الخاص في هذا الموضوع على الإقرار بوجود اختلاف في مسلك كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم لتحديث الرواية العربية، وهو مسلك نابع من الاختيار الشخصي لكل منهما. وعلى إقرار آخر بوجوه تلاق بين الإثنين، ولذلك فإن هذا البحث يسعى للإبانة عن وجوه الاختلاف ووجوه التلاقي بين الروائيين من جهة، وتعليل هذا التباين والتلاقي لاحقا، وما انجر عنه من نتائج، الشيء الذي سيخرجنا تدريجيا من دائرة القول الضيق المتعلق بالغيطاني وصنع الله ابراهيم، ومن خلالهما أصحاب الحساسية الجديدة، إلى دائرة القول العام المتعلق بتحديث الرواية العربية.

غير أن تحقق كل هذا سيكون بدوره محكوما بالانطلاق من روايتي: "الزيني بركات" (1) لجمال الغيطاني، ورواية " اللجنة (2) لصنع الله ابراهيم.

0.1 - إن المتسائل عن وجوه الاختلاف بين رواية " الزيني بركات" ورواية "اللجنة" يلحظ منذ البداية هذه الوجوه من خلال البناء الفني للاثرين من جهة ومن خلال طرق تحقق دلالاتها من جهة ثانية. ذلك أن ما يسمى مسلك كل من الروائيين، وما يطبع تجربتهما الروائية، هو الاختيار الشخصي والإجتهاد الفردي في تحليل الواقع المعيش وفرض رؤية اجتهادية خاصة تنبع من التفرد. وهي ميزة لئن طبعت نتاج كل من الروائيين فإنها ليست خاصة بهما؛ بل هي سمة من سمات جيل الستينات من أصحاب الحساسية الجديدة، فما يجمع بين هؤلاء جميعا هو، كما يقول سامي خشبة، " رغبة تحليل الواقع المعيش والثقافات السائدة- المحلية والواردة- في ضوء الفهم النابع من الاجتهاد الخاص لكل واحد من هؤلاء الأدباء، ثم رغبة تأصيل الفكر الشخصي لكل واحد منهم في ضوء إدراكه لتجاربه الاجتماعية والذهنية وما يحصله من تجارب الآخرين المعاصرين له من جيله أو من الأجيال الأخرى"(3). فالاختلاف بين كل من أصحاب هذا الاتجاه يقوم على حرية الاختيار في المسلك وهو خروج عن سلطة النموذج التقليدي الذي أقر سبيلا واحدا رسمته روايات نجيب محفوظ وأقرت سلطانه. وقد كان خروج كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم - وغيرهما من أصحاب هذا الاتجاه- عن هذا السلطان وجها من وجوه حداثة الرواية عندهما.

1.1- غير أن توجه الروائيين، في رسم بنائهما الروائي وطرق خلق دلالات الرواية عندهما وسبل ترهينها، لم يكن نابعا من هذه النظرة الاجتهادية الإختيارية فقط بل كان نابعا أيضا من وعيهما بالجنس الروائي، ومن فهم خاص لطبيعة بنية الرواية ذاتها، فقد انطلق كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم من التركيز على طابع الرواية غير المنجز الذي يعني استمرارها في الانفتاح ورفضها الاحتواء من قبل مؤسسة إجتماعية أو تكريسها في شكل فني معين. فقد تفطن كل منهما إلى أن الرواية لا تستطيع أن تحتمل لا الكليشهات الجاهزة ولا الشكل الفني الأحادي. فهذا الوعي بجنس الرواية هو الذي عزز عند كل منهما هذا الفهم للبنية الروائية القائم على اعتبارها بنية متغيرة بإستمرار تبعا لعوامل عدة إذ هي، على حد تعبير ميخائل باختين" لا تزال بحاجة إلى زمن طويل لتستقر بشكل نهائي، لا نستطيع حاليا التكهن بجميع إمكانيات تشكلها"(4).

ولعل هذا التعدد في إمكانيات التشكل الذي أشار إليه باختين والذي توفره بنية النوع الروائي هو الذي دعم الاتجاه إلى الاختيار والتفرد في المسلك والتجربة عند كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم،

فجاءت أعمالهما متباينة في طرق بنائها وسبل خلق دلالاتها وطرق تحقق ترهينها.

2.1- ويمكن أن نرصد وجوه الاختلاف بين روايتي " الزيني بركات" ورواية "اللجنة" في البناء الفني لهاتين الروايتين على مستويات عدة منها:

0.2.1- الاختلاف في خطة السرد: ففي " اللجنة"، يتم سرد الأحداث وفق خطة تسلسلية خطية ينساب فيها الزمن السردي دون تكسير له. وقد قام هذا السرد على مفهوم الحبكة. وتم سردها من موقع واحد هو موقع "الأنا السارد". ومن الملاحظ أن السرد في هذه الرواية قد خلا من الارتداد والاستباق، وإذا ما وجدنا بعض العودة إلى الوراء في سياق الأحداث فذلك ليس تابعا لتقنيات السرد الروائي، بل لغاية تفسيرية، فالسارد مثلا:

عندما مثل أمام أعضاء اللجنة وذكر جهوده للتعرف على أعضائها ومعرفة أخبارهم فإن عودته تلك لا تؤدي داخل السياق السردي إلا وظيفة تفسيرية، ويقول: " وكما سبق أن قلت، فقد قضيت العام الماضي في الاستعداد لهذا اليوم بشتى الوسائل... ولكم أن تتصوروا حالتي بعد هذه التجربة الفاشلة وقد وقفت أمامهم غارقا في عرقي" (5). فالأحداث في "اللجنة" يفضي بعضها إلى بعض دون تكسير للزمن، والسبب في ذلك أن الحديث هنا ليس عن حقبة انتهت بل عن ظرف لا يزال مستمرا، هو زمن سياسة التطبيع والإنفتاح مع اسرائيل عقب معاهدة "كمب ديفد". ولذلك كان التسلسل الخطي للزمن في الرواية مدعما لانفتاح النص على المستقبل وهو ما تمثل في تكهن السارد بمآل اللجنة في نهاية الرواية.

- وإذا كنا في الخطة السردية لرواية "اللجنة" أمام تسلسل زمني يتطلبه موضوع النص، فإن الخطة في رواية " الزيني بركات" ومع الغيطاني، تختلف اختلافا كبيرا. فالسرد في هذه الرواية يروى من مواقع متعددة والرواية فيه لا تقسم حسب فصول وإنما وفق تداول حول الشخصيات، وهو ما نتج عنه انعدام الخيط التتابعي للسدر ووقع تكسير للزمن، وبناءه وفق خطة دائرية، وذلك لانطلاق الغيطاني من التاريخ زمنا روائيا لروايته.

- وقد انجر عن هذا الاختلاف في البناء السردي أختلاف ايضا في مركز التبئير، فبينما حصر مركز التبئير في رواية " اللجنة" في " الأنا السارد" باعتباره محور السرد ومن خلال وعيه تروى أحداث الرواية. راينا محور التبئير في "الزيني بكات" يتقاسمه كل من "الزيني بركات" و"زكريا بن راضي" فتروى الأحداث من موقعي وعيهما.

1.2.1- وفي سمتوى ثان من البناء الفني للروايتين يمكن أن نلاحظ اختلافا آخر نرصده من خلال الشخصية أو الصوت : فلئن قامت رواية" اللجنة" على الاخبار عن شخصيات عديدة ذكرت في النص كأعضاء اللجنة مثلا، فإن الشخصية الحاضرة حضورا قويا هي شخصية " الأنا السارد" لذلك رأينا في هذا النص نوعا من عدم التركيز على تعددية

الأصوات في هذه الرواية بالمعنى الذي حدده باختين. بينما قامت رواية "الزيني بركات" - بتعدد موقع السرد فيها وتكسير خطية الزمن والسرد فيها- على تعددية للأصوات، انجرت عنها تعددية في الرؤى واللغات. فحتى وإن كان هناك على مستوى الأصوات ما يجمع بين النصين من تشابه في أن كلا منهما يكشف عن شخصية مثقف متأزم، ورصد علاقة هذه الشخصية بالسلطة - حتى وإن اتفقا في هذا - المضمون- فإن طريقة كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم في التعبير عنه قد تباينت، فبينما اعتمد صنع الله ابراهيم الموقع الأحادي رأى الغيطاني في التعددية السبيل الملائم لموضوعه فكان اهتمامه منصبا أكثر على الأصوات، بينما أتجه صنع الله إلى المكان ليعزز به أحادية الصوت. فقد اتخذ صنع الله من المكان عنصرا روائيا عمدة لبلورة أزمة وإشكالية " الأنا السارد" من جهة ولتحقيق الصيغة الروائية للنص من خلال هذا العنصر. فقد جعل الكاتب من المكان عدوا للأنا السارد فهو، كما يقول د.محمود طرونه، "أينما توجه وجد المكان يعاديه (مقر اللجنة، الشارع، البيت) لأنه يعيش في زمن العدوان، زمن عدواني لا يعترف للفرد بحرية الإختيار" (6) . أما المكان في "الزيني بركات"، فهو لا يبلغ المكانة التي راينا مع "اللجنة" في ابراز القصد الروائي لأن هذه الرواية تحقق هذه المقاصد من خلال التركيز على عنصري الزمن والصوت.

ولئن لم يكن للمكان من دور كبير في الاسهام في البناء الفني لرواية "الزيني بركات"، فإن الغيطاني قد استعاض عنه بعنصر الزمن. فقد اتخذ من الأحداث التي رواها ابن إياس في كتابه "بدائع الزهور" - بين عامي 912هـ و 923هـ زمنا روائيا لروايته ومنطلقا لبناء هذه الرواية فبنى هذا الزمن في النص بناء مخالفا للبناء التاريخي التسلسلي الذي أثبته ابن إياس في كتابه. فيبدأ من عام 922هـ مرتدا الى سنة 912هـ ثم واصل السرد متماديا به إلى ما بعد النقطة التي بدأ منها (922هـ) ليصل إلى سنة 923هـ وبذلك يرسم الكاتب بزمن خطابه هذه الدائرة المنفتحة، وهي الدائرة التي سيبني من خلالها دلالته النصية. في رواية "اللجنة" لا نجد مثل هذا التركيز على الزمن وما يوفره من إمكانيات دلالية سعي الغيطاني إلى توظيفها وفق خطته الترهينية.

2.2.1- بذلك تكتمل في نظرنا وجوه الاختلاف بين النصين على مستوى البناء الفني وهو اختلاف يعززه اختلاف آخر يتعلق بطرق بناء الدلالة في كل من الروايتين. فلئن اتفق الكاتبان في الاتخاذ من الصيغة الاستعارية أداة دلالاتهما النصية كما سنقف على ذلك لاحقا، واختلفا في البناء الفني للروايتين، وذلك بتركيز كل منهما على العنصر الروائي الذي يراه ملائما لموضوعه، فإنهما اختلفا أيضا في طرق بناء الدلالات في كل من النصين، فبينما انطلق صنع الله ابراهيم من المكان لتحقيق دلالته الروائية،

وهي الدلالة التي رأى فيها البعض " منفذا ممكنا إلى اسرار هذه الرواية ومنطلقا لقراءتها" (7)، فبينما انطلق صنع الله ابراهيم من عنصر المكان اتجه الغيطاني إلى عنصر الزمن بإعتباره العنصر المولد للدلالة وهو ما تم لديه من خلال عملية الترهين.

فقد رأينا سابقا كيف بنى الغيطاني زمن خطابه بناء دائريا منفتحا وهو البناء الذي يجعل الرواية منفتحة على الحاضر. لقد حقق الكاتب هنا الانفتاح من خلال وسيلتين رهن بهما الزمن هما: المشترك والاضافة. أما المشترك فهو المواقف والأوضاع التي يشترك فيها زمن الحكاية (التاريخ) وزمن الكتابة (حاضر الكاتب)(8) وبعض أزمنة القراءة. ويتجلى هذا النص من خلال ما يميز هذا الزمن من قمع وخوف وانتهازية، وهي مظاهر تتجلى كلها في سطوة السلطة وبوليسية نظامها، الشيء الذي أدى في النص وخارجه إلى الهزيمة التي تعددت صورها وأزمنتها مما جعل الزمن الدائري المنفتح في النص تصاعديا بر القراءة وأزمنتها. أما الإضافة فهي إضافات أضافها الكاتب إلى المادة التاريخية، وهي جزئيات تبدو مسقطة في بنية النص الروائي. ولكنها منصهرة في بنيته انصهارا، وحضورها في هذه البنية يكسي النص دلالات جديدة ترهينية. فمن هذه الإضافات مثلا" بطاقات جلب تناسب بطاقات التعريف اليوم. وعقد ندوة حول " الإخبار وطرقه" وكذلك تسجيل المواليد... الخ " كل هذه الاضافات نجدها منتشرة في فضاء النص تجذبه جذبا إلى الحاضر لا إلى زمن حكايته. هكذا نلاحظ مما سبق أن الروايتين قد تباينتا في البناء وفي طرق تحقق دلالة ذلك البناء، وهو اختلاف عزز المسلك الشخصي في الابداع عند كل من الروائيين. وقد أبان التحليل أن أوجه الاختلاف كانت عائدة إلى تركيز كل من الروائيين على عنصر روائي دون العناصر الروائية الأخرى يراه محققا لدلالته القصدية. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل يمكن أن نقف – وراء هذا الاختلاف والتباين – على وجوه تلاق وتشابه بين النصين؟

0.2- لاشك أن المتأمل المتروي للنص يمكن أن يقف على هذه الوجوه وذلك في نظري من خلال مستويين: مستوى ظاهر يتعلق بالمضامين والدلالات الظاهرة التي يشترك فيها النصان وهي المتعلقة أساسا بأزمة المثقف وعلاقته بالسلطة، إضافة إلى أسباب الأزمة ومظاهرها في الروايتين. أما المستوى الثاني فهو أخفى إذ هو مرتبط بالبناء الفني وبقواعد الاحالة الأدبية.

1.2 – أما أوجه التلاقي في المستوى الأول فإن المتأمل للنصين يلاحظ أن كلا منهما يطرح أزمة المثقف العربي كل من زاويته وبدرجات من الحدة متفاوتة. وقد اشترك الغيطاني وصنع الله ابراهيم في رصده هذه الأزمة من خلال علاقة المثقف

الانتهازي بالسلطة، وإن تباينت زوايا النظر: فقد نظر إليها الغيطاني من خلال وجوه عدة لعل أهمها: صوت المثقف الواعي الرافض، ممثلا في صوت " سعيد الجهيني"، وصوت المثقف الانتهازي الذي يحقق مكاسبه الشخصية وطموحاته السلطوية بالتعاون مع أي نظام يصعد إلى السلطة ممثلا في مسيرة "الزيني بركات" ، وإن كنا لا نلمس عند هذا الصوت أي وعي، الأمر الذي يجعلنا لا نجزم كثيرا بتسميته بهذا الاسم. مع "اللجنة"، تطرح أزمة المثقف بحدة بالغة. وقد مر هذا الطرح حسب رأيي بمرحلتين مثلتا عمق الأزمة. فقد مثل الأنا السارد نموذج المثقف الواعي أمام اللجنة كل همه أن يستغل ما لديه من قدرات للوصول إلى مكاسبه الخاصة متنازلا عن كل المبادئ التي تشبع بها والقيم التي دافع عنها. فكأنه بذلك قد فقد وعيه في هذه المرحلة ممثلا بذلك عينة على صورة مثقف السلطة الذي يسعى إلى استغلال واستثمار موارده الثقافية وقدراته الشخصية. إلا أن هذه الصورة (مثقف السلطة) ما تلبث أن تأخذ في التبدد لصالح استعادة الصورة الاخرى للمثقف (صورة سلطة المثقف) التي افتقدها" الأنا السارد" بمثوله الاختياري أمام اللجنة وبتنازله عن الكثير من قيمه ومبادئه، وكأن هذه الصورة في النص نوع من اكتشاف الوعي الذي يظهر ويختفي من خلال سعي الرواي (الأنا السارد) إلى تحقيق مطلب أعضاء اللجنة (دراسة موسوعة عن ألمع شخصية عربية معاصرة) وهو المطلب الذي يراد منه ازدياد الانتماء إلى عالم أعضاء اللجنة. غير أن هذا السعي كما تقول سيزا قاسم " لا يتحقق فكلما ازداد الرواي معرفة ازداد وعيا وكلما ازداد بعدا عن عالم اللجنة" (9). فبقدر ما تقترب الانا السارد من اللجنة يبدأ وعيه في العودة إليه فيسترجع وضعه الأول تدريجيا (سلطة المثقف) والوضع الذي بلغ اقصاه في نهاية الرواية باقتناع الأنا السارد بحتمية زوال اللجنة وبالتكهن بزوالها.

على هذه الصورة يلتقي النصان في بلورة أسباب الأزمة وإرجاعها إلى القهر والظلم والاستبداد وما يرافق ذلك من تمكن اجهزة الأمن وتسليطها على الرعية.

2.2- أما المستوى الثاني لوجوه التلاقي بين مسلك الروائيين فيرتبط كما ذكرنا سابقا بالمظهر الفني للروايتين وبقواعد الاحالة الأدبية. وهي مظاهر ترتبط بالوجه الفني للروايتين، ذلك أنه لئن اختلف الكاتبان في بعض الوجوه الفنية فإنهما قد اتفقا في وجوه أخرى وهي الوجوه التي يمكن رصدها من خلال: الحوار واللغة، بالاضافة إلى اشتراك كل من الروائيين في قواعد الاحالة الأدبية ذاتها.

0.2.2- أما الحوار فقد ندر في كل من النصين إن لم نقل غاب، ففي رواية "اللجنة" لانكاد نعثر عليه وإن هو وجد فإنه يقتصر على تبادل جمل قصيرة منقولة بصورة مبسودة وهو ما نجم عنه طغيان

الخطاب المسرود على حساب الخطاب المنقول والمعروض، الأمر الذي يكشف عن تأزم الوضع بين" الأنا السارد" وقيام جدار قطعية بينه وبين أعضاء اللجنة. هذه السمة - سمة غياب الحوار - نجدها أيضا في رواية "الزيني بركات"، فعلى الرغم من تعددية الأصوات، وهو أمر يسمح عادة لهذا النمط من النصوص أن يقدم المادة القصصية - سواء كانت الحديث أو المكان أو الشخصية- من زوايا مختلفة بحيث يكون النص كوكبة من الدلالات المتصارعة وبحيث لا يطغى منظور على منظور آخر على الرغم من هذا، فإن هذه الرواية قد قل فيها الحوار أيضا وهو كما تقول سيزا قاسم تكتيك صارم " فقد ألغى (الكاتب) الحوار كلية فلا لقاء بين الشخصيات وجها لوجه، وألغى أيضا المشاهد التي يجتمع فيها أكثر من شخصية بحيث احتفظ بكل شخصية حبيسة وعيها لا تستطيع أن تخرج منه"(10). وقد استعيض عن الحوار المباشر في "الزيني بركات" بالحوار بالنصوص. فالحوار في الرواية يتم بواسطة النصوص رسالة ترد على أخرى وفتوى تناهض فتوى، وخطبة تصحح أخرى، ومرسوم ينقض مرسوما، وتقارير تتبادل. وهو حوار لا يعطل الحركة الروائية بل يدفع بها نحو التأزم والانفراج الذي لا يكون دائما فرجا بعد شدة.

1.2.2- يمكن أيضا أن نلاحظ تشابها آخر بين النصين على مستوى استعمال اللغة واجرائها وهو اجراء يخرج عن الاستعمال المعجمي التقريري العادي لينجح إلى إيقاع خاص له وظيفة أساسية تتميز بنوع من الهوس اللغوي الهادف إلى تفجير اللغة واكسابها دلالات مجازية. فهي في "الزيني بركات" تحتوي خطابات أخرى، ولذلك تعددت وتنوعت السجالات اللغوية. هذا بالاضافة إلى ميل كل من الروائيين إلى استعمال الجمل القصيرة.

2.2.2- على مستوى الزمن أيضا يمكن أن نلاحظ أنه، على الرغم من اختلاف الروايتين في طريقة بنائه في كل منهما، إلا أن ما يجمع بين زمني الخطاب عند كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم هو الانفتاح على الحاضر أو المستقبل : ففي "اللجنة"، يتم انفتاح الزمن على الحاضر بتكهن السارد بمصير اللجنة في اخر الرواية معتمدا في ذلك على منطق التاريخ وسنة الحياة كما يقول، حتى وإن كان على علم من أنه لن يدرك ذلك اليوم، يقول: "لكني تبينت من استقراني للتاريخ والحالات المماثلة أنه عن طريق هذه العملية بالذات - عملية التعبير والاحلال المتكرر ستفقد جماعتكم تدريجيا مالها من سطوة بينما ترتفع مقدرة أمثالي على مواجهتها والتصدي لها. إلا أنني للأسف لن أكون هنا عندما يحدث ذلك... لكن ما يخفف من أسفي هو ثقتي بما سيحدث مهما طال الوقت فهو منطق التاريخ وسنة الحياة"(11). أما انفتاح الزمن في رواية " الزيني بركات"، فقد رصدناه من خلال ذلك الشكل الدائري المنفتح الذي بنى به الغيطاني زمن خطابه وهو انفتاح بين لنا أن الزمن يتطور إلى الأمام بصورة أسوأ مما كان عليها من قبل : وأحداث الرواية تؤكد ذلك. فالزيني بركات المتحسب اعتى من المتحسب الذي كان

قبله (ابن ابي الجود) وهو في زمن العثمانيين أعتى وأمكن في حكمه منه في أيام المماليك. وهو ما يدل على تدهور الوضع الاجتماعي والسياسي في الرواية بشكل تصاعدي. فانفتاح الزمن على الحاضر والمستقبل في الروايتين هو الذي يعطي للنصين دلالاتهما، وهو الذي يمكن القارئ من المشاركة في خلق هذه الدلالة. فتنفتح الرواية على قراءات متعددة متجددة، تجعل من القراءة صنوا للكتابة في خلق النص وإبداعه.

3.2.2- غير أن انفتاح النص في كل من الروايتين ليس المصدر الوحيد للتوليد الدلالي في الروايتين بل إن هناك طرقا أخرى - يشترك فيها النصان- في توليد وبناء دلالاتهما. وهي كما سبقت الاشارة إليه: اعتماد كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم نفس قواعد الاحالة الأدبية. فلئن اختلف الروائيان في اختيار العنصر الروائي (الزمن/المكان) الذي يراه كل منهما مناسبا للإمساك بخيوط تجربته الروائية وقادرا على إشراك القارئ في عملية الإبداع - لئن اختلفا في ذلك، فإنهما قد التقيا في طرق إحالة النص على الواقع في ما يعرف بقواعد الاحالة الأدبية، الشيء الذي يعزز مرة أخرى علاقة المتلقي بالابداع الأدبي باعتباره عملية تسعى إلى تحقيق استغراق الملتقى فيها لا استعباده منها. ويلتقي كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم في تبني الصيغة الاستعارية في التعامل مع الواقع، وفي تبني القواعد الاستعارية التي تستبدل بعلاقات المحاكاة علاقات التناظر، فالنص عندهما كما يقول صبري حافظ:" لا يطمح إلى محاكاة الواقع، ولكن إلى واقع موازٍ تحكم علاقته بالاطار المرجعي الذي تصدر عنه اليات التناظر"(12).هذه الخاصية لا يختص بها كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم، بل هي سمة من سمات روائيي الحساسية الجديدة، وهي سمة نرى الاستعارة أساسا لقواعد إحالتها الأدبية، وتقر بمبدأ استقلالية كل من النص الأدبي والواقع " أي الإعتراف بنصية النص وواقعية العالم، لانصية العالم وواقعية النص، أي الوعي بأنهما ينتميان إلى مجالين متباينين كل التباين" (13)، على حد تعبير صبري حافظ. ومن صور هذه الصيغة الاستعارية اعتماد كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم المفارقة طريقة من طرق تعرية الواقع وفضح حقائقه، باعتبارها وسيلة من وسائل الإفصاح عنه. إذ هي سخرية وتعبير غير مباشر يقوم على التورية. فهي كما تقول سامية محرز" حين يقال الشيء دون أن يقال، وحين يكون القصد مفهوما دون أن يكون جليا" (14) وهي ايضا، وحسب سيزا قاسم، " تمثل موقفا من التراث الحضاري حين تتجه إلى إعادة تقيم التراث الفني الموروث من خلال إعادة صياغته وتشكيله وتفسيره وتحويله"(15). فالمفارقة بهذا المعنى تحقق للروائي صيغة من القول ذات امكانات استعارية عديدة. وقد اختار الغيطاني المعارضة شكلا من أشكال المفارقة ليحقق من خلالها موقفه من التراث بإعادة صياغته وتشكيله وتحويله، "الزيني بركات" نمط من الرواية التاريخية يختلف عن الروايات التاريخية في أنه يقيم موازاة نصية من خلال معارضة شكلية لغوية للنص التاريخي، من ذلك التقليد الساخر الذي يتخذه الغيطاني من الفتاوي والخطب الدينية، فالمفارقة تتولد في هذه النصوص من استخدام أسلوب نبيل في تقديم حجج واهية حول مواضيع هامشية، من ذلك ما دار من مناقشات ومنظارات وصدرت فيه الفتاوي حول تحريم استعمال الفوانيس من ذلك قوله" ياأهل مصر لم يحدث تعليق الفوانيس من قبل، لقد أمرنا رسولنا الكريم بغض

النظر عن عورات الخلق، الفوانيس تكشف عوراتنا. خلق الله ليلا ونهارا ليلا مظلما ونهارا مضيئا، خلق الله ستارا ولباسا فهل نزيح الستار؟ هل نكشف الغطاء الذي أمدنا الله به؟ هذا كفر لا نقبله" (16). فمثل هذه المهاترات اللفظية، على حد تعبير سيزا قاسم،" من شانها أن تحل محل طرح القضايا الجوهرية في امور الرعية وتستخدم لتأكيد هامشية رجال الدين في عصر يسوده القمع والقهر السياسي"(17). إضافة إلى هذا النوع من المعارضة، نجد استراتيجية أخرى من القول تقوم ايضا على المفارقة: من ذلك شخصية المحتسب " الزيني بركات" . فعلى الرغم من أنها تمثل الشخصية العمدة في النص، فإن الكاتب لا يظهرها في الرواية إلا من خلال وعي الشخصيات الأخرى، ولا يقسم لها في فصول الرواية: فلا يحمل اسمها عنوانا لأحد هذه الفصول، هي المبتدأ وكل الرواية خبر عنه، هي الغائب/الحاضر في نفس الوقت. وقد حقق الكاتب من خلال هذه الشخصية أحد مقاصده القائمة على خلق الوهم. فالشخصيات في الرواية تظل في حيرة من أمرها حول حقيقة هذه الشخصية الغنية الحاضرة. وهو وهم يمتد إلى الشعب وإلى السلطة ذاتها ممثلة في ديوان البصاصين. فكل يسيطر عليه الوهم ويراه يترصده في عقر داره.أما في "اللجنة"، فتتسع دائرة توظيف المفارقة استراتيجية في القول أو في الحكي لتطبع كامل النص بطابع مميز وتضفي عليه جوا خاصا، يظهر ذلك من خلال اللفظ ومن خلال موقف" الانا السارد" في "اللجنة". وهو موقف يظهر من خلال ثنائية: الظاهر والباطن فالراوي أو الأنا السارد في ظاهره ساع إلى التقرب من اللجنة، ولكنه في باطنه رافض لها. نجد لذلك في النص في أكثر من إشارة من ذلك قوله" إنه بالرغم من خطورة اللجنة وضخامة نفوذها، فإن البعض، وأنا منهم، يعتبرون عضويتها دليلا على نضوب الموهبة والفشل التام."(18). فمن خلال هذا الموقف المزدوج، اتجه الخطاب في "اللجنة" وجهتين:

- خطاب ظاهر موجه إلى أعضاء اللجنة تطبعه الجدية والدقة والموضوعية فجميع استشهاداته مأخوذة من مقولات سابقة تشكل النص الايديولوجي للسلطة وأغليته مستمدة من الصحف والمجلات.

- وخطاب اخر خفي حميمي موجه إلى القارئ. وهو خطاب الرفض وفيه تتجلى السخرية اللفظية. فالقارئ، كما يقول نور الدين الجريبي، " يدرك ما وراء تضمين هذه الوثائق والنصوص من أبعاد وما ترشح به من حس نقدي ساخر خفي ينافي ظاهر الحياد التام الذي قدمت به "(19) فوجه المفارقة يأتي من معرفة المتلقي لهذه المقولات على أنها مأخوذة من خطاب سابق ومن ادراكه في الان نفسه أن تضمينها بمثابة شجبها وإدانتها. فهذه الاجابات التي تتملق ظاهريا توجهات السلطة مبطنة بالسخرية أو الفكاهة السوداء التي تقطر مرارة. فبهذه الكيفية تبنى المفارقة الخطاب في النص وتجعله حاملا لمعنيين متناقضين متصارعين. فتبين أن المنطوق اللغوي في رواية "اللجنة" يحمل دلالة معاكسة للمعاني التي يوحي بها ظاهر اللفظ. فيكون كلام السارد مسايرا في ظاهره للجنة (السلطة) مشحونا في باطنه بالسخرية الخفية والتهكم المغلف بستار الموضوعية والدقة التاريخية (رفض السلطة). وبهذه الصيغة المجازفة - التي تميز خطاب السارد في الرواية بالتعارض بين ما يقول لفظا وما يريد أن يقوله فعلا-

كانت المفارقة مصدرا اخر من مصادر بناء الدلالة في الرواية.

لا تقتصر المفارقة في "اللجنة" على المفارقة اللفظية فحسب بل نجد فيها نوعا اخر من المفارقات: هي مفارقة الموقف تظهر في علاقة الانا السارد بالسلطة والمجتمع فمن صور ذلك : ما ظهر على "الانا السارد" من اضطراب عند دخوله على اللجنة وعدم غلقه الباب على الرغم من تهيؤه واستعداده المسبق لهذه المقابلة. ومن صورها ايضا موقف الامتحان: فاللجنة بدلا من أن تسأله في سعة معرفته وكفاءته ودرجة ثقافته، إذا بها تطلب منه أن يرقص وتسأله عن أسباب عدم تمكنه من ممارسة الجنس مع سيدة معينة. فمصدر المفارقة في هذا السياق هو كما يقول نور الدين الجريبي " التعارض بين سلوك أعضاء اللجنة المتسم بالتفاهة والشذوذ وبين مقتضيات الوضعية، وهي سخرية سوداء تكشف عن وضع المثقف المزري" (20) هذا المثقف الذي تقدمه الرواية ضحية لطموحه. بهذه الصيغة المجازية تمكن كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم - بشيء من التفاوت- من تحقيق استراتيجية في القول تتخذ من المفارقة أداة للتعبير عن مواقفهما الخاصة من الواقع وهو واقع لم يكن يسمح بالقول كما أكد ذلك كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم وغيرهما من جيل التسعينات فقد كان القهر والخوف من دولة الجواسيس أهم العوامل التي دفعت بالمبدع إلى استكناه واستحداث صيغ من التواصل تقوم في أسسها الاحالية على المجاز والاستعارة للتعبير عن مواقفه. على هذا النحو تتبين لنا وجوه التلاقي بين مسلك كل من الغيطاني وصنع الله ابراهيم في تجديد الرواية العربية. وهي وجوه قامت على ما يجمع بين المسلكين من مظاهر تستجيب في كلها للاختيار الشخصي لكل من المبدعين تماما كما قامت وجوه الاختلاف على نفس الرغبة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل يمكن أن نعلل هذا الاختلاف والتلاقي في المسلك لدى روائيين يصنفان في اتجاه واحد؟

0.3- الذي يبدو لنا أن هذا الاختلاف والتلاقي أمر طبيعي إذا ما ارجع إلى ما يجمع بين صاحبينا من أسباب. وما يؤلف بينهما من تقارب، وهي في تنوعها وتعددها مصدر ثراء اتجاه الحساسية الجديدة الذي ينتميان إليه. فقد أشرنا سابقا إلى ما يجمع بين كل منهما من وعي بالرواية كنوع أدبي لم تستقر بنيته بعد مما يجعلها بنية منفتحة على جميع الاجناس التعبيرية الأخرى، متغيرة متشكلة بتشكل الواقع الذي تعبر عنه. فقد أمدهما وعيهما هذا بمعرفة ما يمكن أن توفره طبيعة هذه البنية من إمكانات تشكل تعزز حرية المسلك والاختيار. وقد تمثل ذلك فيما سبقت الإشارة إليه من اختلاف وتصرف في عناصر البنية الروائية بحسب طبيعة الموضوع ونوعية التجربة، وهو ما كشف عنه التحليل مثلا في تركيز الغيطاني على عنصري الزمن والصوت في " الزيني بركات"، في حين كان تركيز صنع الله ابراهيم في "اللجنة" على " المكان".

كما أبان التحليل ايضا أن هذا الاختلاف لم يكن ينفي الالتقاء في بعض العناصر الروائية الأخرى خاصة وأن الموضوع المهيمن في النصين واحد (علاقة المثقف بالسلطة). ويمكن القول إن الالتقاء والاختلاف ثانية عامة تسم نتاج أصحاب الحساسية الجديدة، وهي - في نظري - من العوامل التي أثرت نتاجهم ووسمته بسمة التفرد والتنوع في الإنجازات النصية. وهو ما أعطى للرواية العربية المعاصرة دفعا جديدا ووسمها بمجموعة

من العلامات الدالة على تجاوزها لما يسمى في تاريخ الرواية : الحلقة التقليدية في تطور هذا الجنس الأدبي ودخولها حركة جديدة. وهو أمر لايعني إنتقاء النموذج التقليدي هذا من الساحة الأدبية، بل ان استمراره وتعايشه مع اتجاهات التحديث هو الواجهة الكبرى لثنائية الاختلاف والالتقاء بين الروائيين العرب اليوم. وتباين مسالكهم لا على مستوى الاتجاه الواحد - كما رأينا مع أصحاب الحساسية بل بين الاتجاهات ذاتها على تضارب منطلقاتها وتعدد مشاربها. وهو أمر يخول لنا التساؤل هنا - وقد دخلنا دائرة القول العام للقصد المتعلق بتحديث الرواية العربية- هل يمكن أن نتحدث عن دور لهذه الثنائية (الاختلاف والالتقاء) خارج الاتجاه الواحد، وفي نطاق تعايش الاتجاهين : التقليدي والتحديثي؟

4.()- ليس من مشمول دائرة قولنا الخاصة الاجابة عن هذا التساؤل: إلا من حيث أن هذه الثنائية، وكما كشف عن ذلك التحليل النصي، كانت دائما مصدر التنوع النصي لأصحاب اتجاه الحساسية الجديدة. وهي بدون شك تمثل مصدر إثراء للرواية العربية عامة، خاصة إذا تذكرنا أن هذه الثنائية قد عرفها الاتجاه التقليدي ذاته، فقد مثلت كتابات طيب صالح عصر التباين والالتقاء داخل هذا النموذج. فهو في كتابته الروائية يلتقي مع أصحاب النموذج التقليدي في بعض النواحي الفنية ولكنه في مواطن كثيرة يختلف عنهم. من هذه الزاوية، يمكن القول - بإيجاز مخل- إن حضور هذه الثنائية مثل دائما مصدر الاضافة. فهل يعني هذا أن جدلية الالتقاء والاختلاف، هي مصدر الحداثة في تاريخ تطور الرواية العربية؟ سؤال يظل مطروحا.

الهوامش:

1) الزيني بركات" جمال الغيطاني. ط.6 عن دار الجنوب للنشر تونس 1991.

2) - " اللجنة" صنع اله ابراهيم . عن دار الجنوب للنشر تونس 1989.

3) - سامي خشبة:" جيل الستينات في الرواية العربية: تحقيق في الاصول الثقافية" مجلة : فصول . مجلد 2 عدد 2 1982 ص .118.

4) - ميخائيل باختين: الرواية والملحمة: تعريب : جمال أشحيد. ط. معهد الانماء العربي بيروت ط. 1 سنة 1982، ص 5

5) - " اللجنة" : المصدر المذكور سابقا ص/18

6) - د. محمود طرشونة: محاضرات الدراسات المعمقة : كلية الاداب منوبة، تونس العام الدراسي 94/93 ص /30

7) رصيد د. سعيد يقطين دائرية زمن الخطاب في رواية " الزيني بركات وانفتاحه في كتابه تحليل الخطاب الروائي". ووقف على دلالة هذا البناء في كتابه الثاني " انفتاح النص الروائي"
استفادنا منهما في تحليلنا لبنية الزمن ودلالته.

8) عبد الصمد زايد: المكان ودلالته في رواية " اللجنة" حوليات الجامعة التونسية عدد 29 عام 1985 ، ص 56.

9) كتبت " الزيني بركات" بين سنتي : 1969 و 1970 (بعد هزيمة حزيران 1967) نقلا عن مفيدة الزريبي: مداد التاريخ وخطاب الرواية العربية (نموذج الزيني بركات) دمشق 1994 ص 45

10) د. سيزا قاسم : " المفارقة في القص العربي المعاصر . مجلة فصول: المجلد 2 العدد 2 لعام 1982، ص 150

10) د. سيزا قاسم، المرجع السابق ، ص 147

11) صنع الله ابراهيم: " اللجنة" المصدر المذكور سابق، ص 146

12) د.صبري حافظ: القصة العربية والحداثة: دراسة في آليات تغيير الحساسية الأدبية ط.(د.ت)، ص 79

13) د.صبري حافظ، المرجع السابق ، ص 76

14) سامية محرز : " المفارقة عند جيمس جويس وأميل حبيبي" عيون المقالات" العدد 2. 1982، ص 107

15) د. سيزا قاسم:" المفارقة في القص العربي المعاصر" فصول، مرجع مذكور سابقا، ص 144

16) جمال الغيطاني:"الزيني بركات" مصدر مذكور سابقا، ص 120

17) د. سيزا قاسم: مرجع مذكور سابقا، ص 146

18) صنع الله ابراهيم : " اللجنة" : مصدر مذكور سابقا، ص 43

19) نور الديني الجريبي : السخرية ودلالاتها في رواية " اللجنة" مجلة " المسار" (تونس) العدد 18 اكتوبر 1993، ص 53

20) - نور الدين الجريبي: المرجع السابق، ص 54.

كتاب الشناشيل
قراءة ومناقشة

السالكة بنت اسنيد /كاتبة صحفية
باذاعة موريتانيا

يحتوى الكتاب الشناشيل لصاحبه محمد الامين الشاه على واحد وثمانين صفحة من الحجم العادي وتضم هذه الصفحات بين ثناياها مقامات تتناول موضوعات مختلفة.

يفتتح الكاتب كتاب الشناشيل بالمقامة الانفصامية وهي عبارة عن حكاية تتناول الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والاخلاقي في المجتمع الموريتاني مسميا هذا المجمع ببلاد العجائب وبلاد المدهش والاستثنائات، (البلاد التى تجمع بين القط والفار لايميز أهلها بين المؤمن والكافر ولابين المقيم والظاعن).

بطل هذه المقامة وراويها هو منشطر ابن ابي خيبة، ومن خلال اسم البطل الراوي نلاحظ اننا أمام شخصية اسطورية عجيبة مصابة بالامراض النفسية التى يستعيذ منها اليوم اهل هذا العصر، فالانفصام كثيرا ما ينتج عن الحياة الحضرية الحديثة التى تعج بالصخب وانتشار النفايات السامة والتلوث البيئي منذرا بالقضاء على طبقة الأوزون.إذن فنحن عندما يلاقينا الراوي نفهم مما سيروى ظروف نشاته الزماني والمكاني، إنه توطن عبر التاريخ الارض السائبة وبلاد الفترة على حد تعبير (الشيخ محمد المامي) وإن كانت عرفت ببلاد الشناقطة وأرض المليون شاعر فإن تأثير مسميات الشيخ محمد المامي لها أكثر استشراء وانتشارا مما يبين ان الحاضر هو امتداد للماضي بشكل من الاشكال. إن هذه المقامة تمثل الفترة الانتقالية التى يعيشها مجتمعنا بكل ما تعنيه هذه المرحلة من ازمات وانشطارات وانفصامات الى ماشئت من مسميات علم النفس، فالراوي بطل المقامة في الصباح زنديق مارق صعلوك مرتد منافق، سارق (وفي المساء صوفي ناسك عفيف لباسه

صف واكله ماء و رغيف) ويوما ما يحتسبها معتقة صهباء يجالس السكير والقينة الماجنة تتثنى بين ذراعيه الى آخر ذلك من الازدواجية السلوكية التى تسلمك الى غيرها. وفي المقامة الشبقية يحدثنا منسطل ابن أبي عثيان عن مغامراته مع الفتيات ونكوصه نحو الشباب بعد ان لعب الزمن بشعر رأسه ورسم تجاعيده على وجهه. كان الشاي هو العلاقة بين الراوي البطل وحبيبته فعن طريقه توطدت العلاقات بين الاثنين كان الوسيلة التى امسكت بربطة عنق البطل الى سرير المحبوبة والمجون، الى حيث الهندام الجميل ورنين الأساور وصوت الموسيقى والمفروشات الوثيرة. لقد شرب الشاي الراوي البطل حتى آخر كأس وحطم رجولته بفأس، والمصيبة انه كان يهجر الشاي حتى عهد قريب حذرا من فخوخه المنصوبة ومكائده الكثيرة. فهذه المقامة عبارة عن وصف عناق بين أحبة يتفاوتون في السن بشكل صارخ، ومع ذلك يلتقيان في شكل من الانسجام بلغ حد الذوبان يبينه الكاتب قائلا "ان شطائر شعر الحبيبة الفاحم تأكد هزيمة التكنولوجيا وقصور وافلاس منطق العقل البشري، وتراجع القناعات والمبادىء والديانات امام شهوات وفلسفات العقل الحجرى. أما المقامة التوظيفية فتجرى على لسان مكتتب ابن ابى قرار وتروى معنات طالب تكبد الصعاب في سبيل الحصول على الشهادة فذاق الأمرين في سبيلها وعند اكمال الدراسة والحضور الى الوطن الحبيب طرحت أمامه مشاكل التوظيف وقلة الراتب مع كثرة الواجبات الاجتماعية المختلفة، فلم يبق أمامه من حل سوى اللجوء الى جماعة القربى ومالها من أياد طولى فنجحت في نقله من وضعية الموظف البسيط والعادي الى مصاف المعينين (يقول الكاتب على لسانه: راودتني قلة التوظيف بعد أن اشد بي هاجس الاولاد والمستقبل والرغيف فشمرت عن ساعدي وجمعت اقاربي واباعدى وأرسلت لكل جهة وسيطا

وسفيرا وجئت بشهاداتي وكتاباتي سندا وظهيرا وبعد أشهر من الصعود والهبوط وبعد ان نفد صبري وأصبحت قاب قوسين من القنوط جاء الاجراء الخصوصي واليوم الموعود واشرقت شمس التعيين وانتشرت البشائر والسعود).

أما القامة الالمانية فتجرى على لسان مكتشف ابن ابى جولة وتعد انبهارا بما وصل اليه الآخر من رقي وازدهار في الثقافة والتكنولوجيا والنظافة ورقة الطباع وازدهار الشارع وشهوق البنايات، كلها صفات أوغرت صدر الزائر غيرة وحسدا - الى درجة الشوق - بأوطانه ومالها من دكاكين الالحان وأكوام القمامات وخراطيم الكثبان ومواء القطط ونهيق الحمير وتجارة النساء الى غير ذلك من مدن الصفيح والمزابل والضوضاء واختلاط الحابل بالنابل ومما تثيره هذه المقامة لدى الكاتب مسألة التزوير التاريخي وكيف يتعامل الآخر مع حضارة غيره حتى جعل هذا الآخر الرشيد يخضع لشرلمان يقدم لديه الهدايا خوفا منه واذلال له، هذا الموقف المزيف للتاريخ تروى المقامة تأثيره على البطل وما ترك في نفسه من الم فأخذ يكذب معارض الآخرين حالفا بالعزيز الجبار نافيا ما علق دون ان يغير ذلك من اللوحة وتصدرها للمعرض شيئا.

وفي ثنايا كتاب الشناشيل يأتي دور متسيس بن أبى مصالح بطل المقامة الحزبية فقد فشل في الانتخابات البلدية وفي تجديد الهياكل ولم يستطع خلال هذه المحطات السياسية ان يقنع سوى الأطفال والعجزة وعند ذلك قرر اشعال الحرائق السياسية والفتن القبلية، الجهوية والعنصرية حتى يصبح مثل طارق بن زياد وغيره من الابطال الأوشاس.

ومع الفشل في الهدف المنصوب "أصبح يسب الدهر والأيام يلعن المؤسسات الاجتماعية والنظام علنا في وضح النهار ويصف كل هذه الهيئات بالذل والنذالة والعار."

- من وراء ذلك يتوخى ان يوضع في غياهب السجن حتى يصبح بطلا أو شهيدا قدوة للأجيال مناضلا عنيدا- وتأتي المفاجأة عندما يهمشه الخصوم ويغمضوا العين عن تصرفاته فتكون الصدمة على نفسه أقسى. فيفقد مناصروه الثقة في تصرفاته ونهجه للزعامة ويتفرقون أيادى سبإ. وتكون خاتمته ان شكل حزبا يصفه الكاتب "انه حزب المكائد والدسائس، شرط عضويته رجل أكول على حب الدراهم محبولا يأكل حتى البرامج والمشاريع والخطط الانمائية والدراريع" ولابد ان يكون متخصصا في التصفيق والتلفيق النميمة والتزويق، قادرا على ربط تحالف بين المسلمين المجوس وان يكون تارة باسما وتارة عبوس.ويحدث متخذلق ابن ابي مخفق: بعد ان قرر الزواج دون الحاجة الى الاستقرار وحفظ الجوارح من الزلات وانما للبحث عن الشهرة بأي ثمن فلم يكن ذلك ممكنا عن طريق المعرفة والمال فلجأ الى الزواج دون تجربة اوتهيئة فكانت النهاية فشلا ذريعا عصف بالأسرة الجديدة التى لم تقدر امكانياتها حق قدرها فتصرف الزوج دون اعتبار بما يمكن قضاءه من الديون وظلت الزوجة تقدم مختلف المطالب المجحفة وتأنب شريك الحياة على كل النواقص المادية "فيتحول شهر العسل الى جحيم وخصاص كان هذا الزواج جرما وإثما كبيرا ونارا مشتعلة وزمهريرا". تعبر هذه المقامة عن تجربة الكثير من الفتيان والفتيات الذين يقدمون على الزواج دن ان يهيئوا الامكانيات اللازمة والمصاريف الضرورية فيجلون المشاكل بالاستدانة وغالبا ما تعجز الاستدانة عن سد النواقص والحاجيات الجديدة، فتدب الخلافات داخل الجسم الغض فتنهكه نهكا حتى تزيله من الخريطة، نحن في كثير من الاحوال لانفرق بين الزواج ولقاءات الأحبة المراهقين العابرة، يكون اللقاء في البداية وديا ساخنا يترتب عليه التزام مجحف وغير مدروس يعقبه زاج ينتهي الى شجار

وخناق وطلاق. تأتي المقامة الطبية على لسان معتل بن أبي فاقة: يروى البطل الضحية من بين ما يروى انه كان مشتغلا بالتجارة والأرباح ويتقاضى منها الخير الوفير مقتديا في تصرفاته بأقوال السلف الصالح: ان الخير في التجارة مطمور وان صاحبها مثاب عليها ومأجور.

"ولقد مكنت التجارة هذا الرجل من تربية اولاده ووالنفقة على اضيافه الى ان اعتل جسمه والتفت الساق من شدة المرض بساقه أنفض عنه الاصدقاء عندما توهن جسمه وقل ما بيده، حملته زوجته الى مركز الاستطباب خلق الجلباب".

هناك يصف معتل شكل المستشفي وعظمة البناية وما تحتوى من القاذورات والأوساخ والممرضين والأطباء القسات، وبعد ان تفرقت به السبل وكتب رسائل الى كل الجهات الرسمية ويئس من استجابتها لفاقته وعلاجه قرر اللجوء الى القبيلة، فواسته هذه الاخيرة وتضامنت معه لحل مشكلاته في العلاج والفاقة.

"والكارثة ان البطل الضحية أصبح بالدولة والادارة ملحدا كافرا وعن قوانينها مرتدا نافرا".

إنها حالة تحدث للعديد من الناس، حيث يخونهم الاصدقاء بعد نفاد ما بيدهم ولايجدون استجابة من قبل الجهات المسؤولة فينكصون عن كل ما اعتقدوه من مبادىء وقيم ويرجحون اللجوء الى القبيلة والطائفية والعنصرية يحبونها ويتصدرون زعاماتها.

الخلاصة:

تتبعنا أهم وأكثر محطات كتاب الشناشيل وحاولنا اثناء هذه المسيرة ابراز خصائص كل مقامة على حدة. وقد تبن لنا ان هناك عموميات مشتركة تجمع كل هذه المقامات بخيط مشترك نحاول في مايلى تحديدها:

أولا: تضمين القرآن الكريم بشكل مكثف وظهور اللغة القرآنية على صفحات كل مقامة صنفة بارزة في هذا الأثر.

ثانيا: لكل مقامة خاتمة تتجلى في أبيات من الشعر العربي يتمثل بها البطل تكون له عزاء عن كل ما لقي من أكدار ومشقات وهذا النوع موجود في التراث العربي حيث كان أبوحيان التوحيد يختتم كل سمر ليلي من كتابه الأمتاع والمؤانسة بخاتمة تسمى ملحة الوداع. تتجسد في أبيات شعرية او حكم أو حكاية نادرة تترك انطباعا لدى السامعين، قد يكون ذلك الانطباع وعظيا او غزليا او توحيديا او ملحة نادرة، المهم ان يكون ذلك الوداع له صدا في نفوس الحاضرين.

ثالثا: ضجر الكاتب من واقع الأحال والتحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاخلاقية والنفسية.

فقد خصص لكل مجال من هذه الميادين حديثا خاصا يرويه بطل ضحية لسوء الأحوال في كل هذه المجالات، الا أن هذه المسائل رغم وجودها في أحاديث منفردة، فإنها تتشابك وتتداخل في كل المقامات فنلمسها بشكل واضح.

رابعا: من الرموز المحلية التي استخدمها الكاتب في احاديثه رمز الشاي، ولاغرابة في ذلك فالشاي هو وسيلة الموريتانيين للسهر والحديث الا أن الكاتب جعله الغطاء الشرعي وغير الشرعي للقاء فحضور الشاي مكثفا ويبرز ذلك من خلال الاهداء: (الى كل من خلده الشاي مصلوبا وعلقه على حائط الغثيان مقلوبا).

خامسا: كانت الشناشيل كغيرها من مؤلفات الزميل محمد الامين الشاه عبارة عن مقالات صحفية تتحدث عن الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي والاخلاقي باسلوب شيق ولغة سلسة منسابة تجد في التراث العربي منبعها وأصلها وفي الجسارة التعبيرية حلاوتها ورونقها.

المجتمع الشنقيطي التقليدي
دراسة سوسيو-تاريخية
التسميات والحدود

إعداد : عبد الوهاب ولد محفوظ دكتوراه سلك ثالث في علم الاجتماع

لعل من المعضلات الأساسية التي تواجه الباحث، وهو يحاول قدر الامكان الوقوف على بعض محطات التاريخ السياسي للمجتمع الموريتاني قبل تأسيس الدولة الوطنية، غياب الكتابة التاريخية لدى علماء هذا المجتمع رغم اهتمامهم المتواصل بكل أنماط المعارف الإسلامية وإبداعهم فيها، وهو الأمر الذي اشار إليه الشيخ سيديا بابه في مقدمة مخطوطه" تاريخ إمارتي إدوعيش ومشظوف" حين قال: " وكنت أتعجب من علماء هذه البلاد البيضانية.. من أول الزمان إلى الآن، مع كثرة ما وقع فيها من الأمور الكبار التي ينبغي الاعتناء بكتابتها وكثرة من كان بها من الأكابر من كل صنف، الذين لا ينبغي أن تترك أخبارهم نسيا منسيا على حالتها..."(1).

في هذا الاطار سنعود في هذه الدراسة البسيطة إلى ما تيسر من مخطوطاتنا المحلية من أجل أن تقربنا أكثر من معرفة التسميات المختلفة وبعض الدراسات العربية الأخرى لمجتمعنا التقليدي في إطار منهج يعتمد التسلسل "الكرونولوجي" من جهة والتحليل الاجتماعي من جهة أخرى، وذلك لسبب أساسي هو :

تعقبنا في خضم هذا" التاريخ الصامت" لتعاقب أو تواجد بعض التسميات التي ارتبطت بالمجتمع – ميدان الدراسة– والتي نراها علما على التحولات الاجتماعية والسياسية في المنطقة، خصوصا أن أية تسمية مهيمنة في فترة معينة تخفي عندنا هيمنة سياسية للمجموعة التي تحصل هذا الاسم أو عملت على انتاجه وحراسته، ذلك أننا في كل الحالات سنبقى أمام أنظمة سياسية رغم بساطتها وعدم مركزيتها تحاول إعادة إنتاج الاشكال الأكثر قوة في التاريخ الاسلامي والتي يفهم تعاقبها بتعاقب تسمياتها وطغيان بعضها على الآخر تبعا لطغيان السلطة المهيمنة (الدولة الأموية مثلا، العباسية، إلى غير ذلك...). فما هي هذه التسميات إذن؟ وهل كانت تتواجد في نفس الوقت؟ وفي هذه الحالة من كان يستعمل تسمية دون أخرى ولماذا؟ أم أنها جاءت متعاقبة؟ وإذا كانت كذلك فما الذي أدى إلى تراجع تسمية وظهور أخرى مكانها؟ من طرف من كانت تعلق هذه التسميات؟ كيف كانت تنتشر؟ وكيف كانت تقابل من طرف من تعلق عليهم؟ هل هناك تسمية أصبحت هي الطاغية ولماذا؟

إنه باستثناء بعض المخطوطات القليلة التي تناولت نقاطا مضيئة من هذا البلد مع إهمال المناطق الأخرى، فإننا لا نكاد نعثر على أي أثر

يذكر في تلك الفترة بهذا الشأن، وذلك نتيجة لغياب سلطة مركزية تغذي الاهتمام المشترك والعالم لعلماء ومؤرخي هذه المرحلة التي تستجيب لهشاشة نظامها السياسي والاجتماعي المتميز بعدم الاستقرار ودوام الصراع أو التمزق المستمر، إنها فترة محكومة بمثلث بائس على حد تعبير عبد الودود ولد الشيخ (2)" الغزو – الجفاف – الوباء".

وهو المثلث المسؤول بدوره إلى حد كبير عن الحركة السكانية والهجرات المتتالية وعدم وجود حدود قارة وثابتة بل وعدم وجود تسميات متفق عليها، ذلك أن أول ملاحظة يكتشفها المتتبع للتاريخ السياسي لهذا المجتمع الذي نعثر عليه من حين لآخر وبطريقة شحيحة لدى الفقهاء والمؤرخين التقليديين – هو اضطراب مجاله المكاني والدلالي حتى في أذهان هؤلاء الفقهاء والمؤرخين أنفسهم نتيجة شعورهم المأسوي بالتحول والانتقال وإحساسهم بقهر الطبيعة وسطوتها. من هنا كان تعاقب مجموعة من التسميات والحدود بل وتواجد بعضها في نفس الوقت أمرا طبيعيا في حيز يفتقر إلى سلطة مركزية قارة ومنتظمة تحتكر سلطة الإسم وتعمل على ترويجه ونشره.

فما هي هذه الاسماء المضطربة إذن – كما تساءلنا سابقا؟ وما دلالتها في هذا المجتمع؟ للجواب عن سؤال من هذا النوع، يلزمنا قبل كل شيء الوقوف قدر الإمكان على الفترات التي نظنها مضبوطة للمجموعات التي حملت هذه الأسماء في البلاد الموريتانية قديما أو على الأقل في الفترة السابقة مباشرة للتدخل أو الفتح الإسلامي.

وهنا نجد أن معظم المصادر المتوفرة لحد الآن تؤكد على أن " أول من استوطن هذه الأرض هم مجموعات ذات خصائص زنجية (Négroides) يعيشون على الصيد وجني الثمار، وهاجروا شيئا فشيئا نحو الجنوب بفعل جفاف الصحراء وضغط الشعوب التي عرفت باسم " اللوبيين البربر" أو العرب البرابرة القادمين من الشمال الذين مكنهم استخدام الاسلحة الحديدية والعربات التي تجرها الخيول أولا ثم الحمال ثانيا في القرنين الثالث والرابع الميلاديين من التغلغل في المنطقة والسيطرة عليها" (3).

إن هذه الشهادة التاريخية تجعلنا أمام فترة يتداخل فيها عنصران مهيمنان لكل منهما نسبته الخاصة به هما عنصر الزنوج الذي سيؤسس فيما بعد مملكة تعرف بالتكرور نسبة الى المجموعة الزنجية التي شيدتها على منطقة النهر، ومملكة غانا التي سيطرت على الجنوب الشرقي من البلاد قبل العصر المرابطي، ثم عنصر البربر الذي عرف باللثام في منطقة الصحراء، وخصوصا قبائل صنهاجة التي شكلت فيما بعد، السواد الأعظم لسكان البلاد، لتجب بعد قرنين

ونصف من السلطة والنفوذ دولة قوية بتيدره وآزوكي وشنقيط الأولى عرفت بدولة المرابطين (4) بقيادة أبوبكر بن عامر (5' التي أطاحت في 1076 بمملكة غانا الوثنية التي كانت تشكل عائقا أمام انتشار الاسلام في الجنوب (بلاد السودان).

إن ما يهمنا هنا، بالدرجة الأولى، ونحن بصدد الإسم الذي نراه سابقا على الاسماء الأخرى التي عرفت بها المنطقة، هو أن قبائل صنهاجة الصحراء (لمتونه وكداله ومسوفه) كانت تتميز عن غيرها من المجموعات القبلية الأخرى باللثام لدرجة انهم أصبحوا يعرفون به، فسميت بذلك صحراؤهم صحراء الملثمين، لكن متى وكيف؟

أ- صحراء الملثمين : {اللثام، هو طرف من العمامة، يحاط به الوجه}:

إسم عرفت به المجموعات آنفة الذكر قبل تأسيس دولتهم في شنقيط وتيدره قبل ذلك وآزوكي. يقول البكري "... وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه غلا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال، ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه إلا إذا تنقب، وكذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع وصار لهم ذلك ألزم من جلودهم...(6).

في هذا الإطار شكل اللثام في معظم أبعاده الدلالية خزانا وقائيا عن الطبيعة، وعن الآخر في برزخ من الرمال المتنقلة في فضاء ينتج التنقل ويعمل على استمراره.

لقد كان اللثام إذن ملاذا يتعامل مع قساوة الطبيعة(الرياح، الحرارة...)، وحدا رمزيا فاصلا بين الفضاء المحلي والفضاء الخارجي كتعويض عن الفراغ المديني الذي خلفته البداوة، وإعادة في رأينا لثقافة الحصون والأسوار التي ما انفكت تتلاشى في ركام الصحراء والترحال كمن يبحث عن ذاته في خضم الصراع.

لقد شكلت هذه الدلالة بالاضافة الى كل تلك الابعاد المادية والطبيعية شاهدا - حسب رأينا دائما- على بعد ديني تمثل في الحياء والاكتفاء باليسير، سيعمل في الأخير على تأسيس بعد سيكولوجي سيكون له الدور الفعال في الجانب الانطوائي الذي مازال المجتمع يعيش بعض نتائجه لحد الآن.

إن جعلنا التسمية " صحراء الملثمين" في المقام الأول حسب التسلسل التاريخي رغم قدم الزنوج بالمنطقة هو كون هؤلاء الأخيرين لم يصنعوا ممالك ذات بال تعرف بها هذه البلاد قبل دخول الملثمين لو استثنينا مملكة غانا التي امتد نفوذها " من منحى النيجر جنوبا حتى مدينة آزوكي في الشمال" (7).

واتخذت من " كومبي صالح" - في الحوض الشرقي من البلاد- عاصمة لها ما بين القرنين

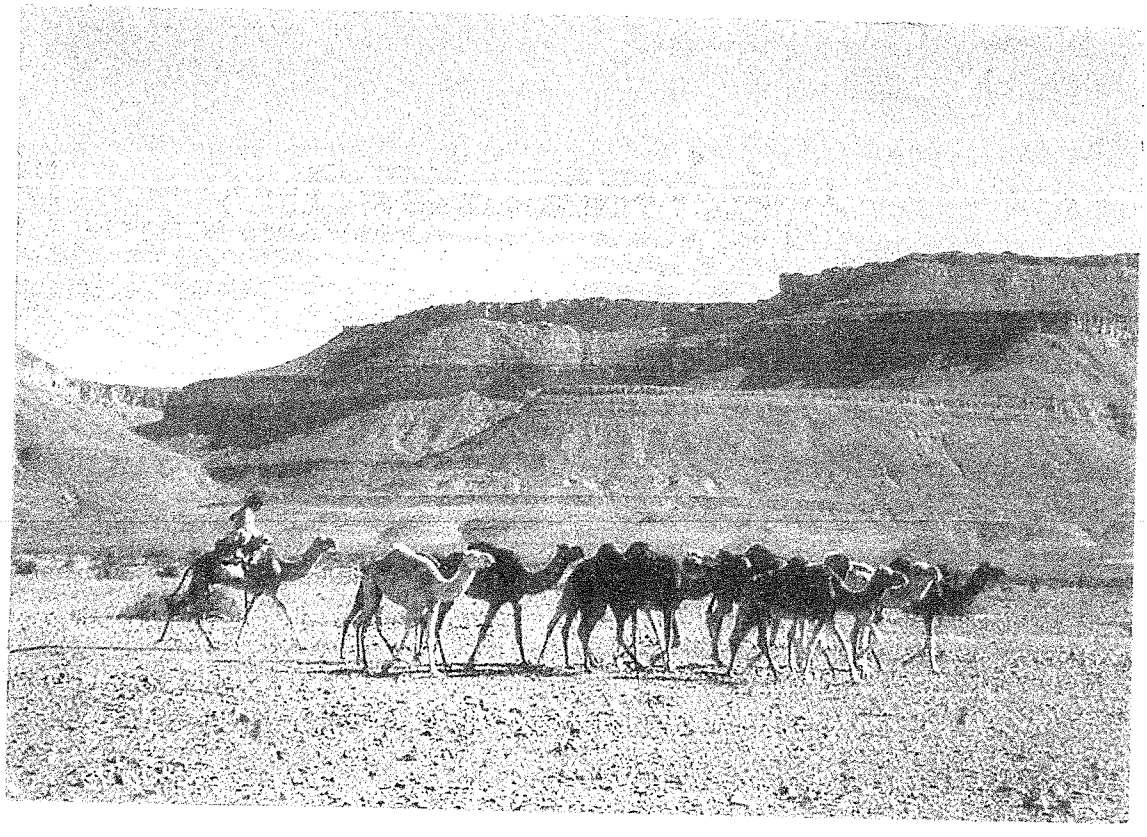

السابع الميلادي والحادي عشر ؛ ولد السعد: حرب شربيه – 36}.

لم ينسحب إسم هذه المملكة – التي أثخنتها سيوف الملثمين من الشمال (8)، لم يسنحب إسمها إذن على البلاد مثلها مثل مملكة مالي التي ورثتها ؛ وعاصمتها كومبي صالح كذلك}، ومملكة سانغاي ؛وعاصمتها تمبكتو بمالي؛ لأنها كانت امتدادا لشعوب كثيرة في الجنوب وليس في الشمال، ولم يكن موقع عواصمها هذا ذا بعد ايديولوجي وسياسي بقدر ما كان اقتصاديا بالدرجة الأولى للاستفادة من محور المسالك التجارية الرابطة بين المناطق شمال الصحراء والمناطق جنوب الصحراء، لذلك ظل اسمها (غانا) عبارة عن تاريخ وثني – رغم دورها التجاري في المنطقة- لا يرقى إلى دور الملثمين الذين سيؤسسون دولة المرابطين(9) الصحراوية التي اتخذت من شنقيط الأولى أو آبير عاصمتها الثقافية والسياسية بعد تيدره وآزوكي. فما هي شنقيط إذن، وكيف ستصبح إسما تعرف به المنطقة كلها؟

ب- *بلاد شنقيط*: لقد تم تأسيس شنقيط الأولى سنة 160هـ/776م (10) على يد صنهاجة الصحراء التي اتخذت منها معقلا ورباطا جهاديا إلى مدينتي آزوكي (11) وتيدره كما اشرنا إلى ذلك آنفا على يد مجموعة من القواد من بينهم تلسين اللمتوني 1040م (12) ثم يحيى بن ابراهيم الكدالي والمعلم الديني عبد الله بن ياسين (13) الذين أسسا ثنائية السلطة السياسية والدينية التي سيعيد إنتاجها أبوبكر بن عمر القائد المرابطي عندما جاء من " أغمات" بالإمام الحضرمي (14) كقاض ووال على المنطقة قصد إثبات دعائم الدولة الإسلامية 480/1087م (15) التي زعزعت أركانها مقاومة الوثنيين من السودان، وكذا خلافات صنهاجة المزمنة.

ما يهمنا هنا هو أن مدينة شنقيط هذه ستظل بنفس الدور الحضاري الذي اسسه المرابطون في البلاد "الموريتانية" حتى بعد انتقال مركزها إلى شنقيط الثانية، فكانت منارة علم ومنطلقا محليا للحجيج، بالاضافة إلى دورها التجاري نتيجة موقعها الاستراتيجي في محور تجارة الصحراء، ثم دورها الجهادي الذي ظل يعيد إنتاج نفسه حتى في ظل غياب أية سلطة قوية موجهة كما كان عهد زعماء صنهاجة الصحراء. هذا الدور الريادي جعلها علما يطلق على البلد كله خصوصا من طرف المشارقة أوقات الحج، بل وفي كتابات الفقهاء والمؤرخين المحليين.

ذكرها سيدي عبد الله ولد الحاج ابراهيم في القرن الثامن عشر في مخطوط لخ بعنوان:" صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد قلي" (16)، وهو مخطوط يهتم بشجرات الأنساب وتدعيم رأيه فيها أكثر من اهتمامه بالجانب الاجتماعي والسياسي رغم أهمية وقدرة

صاحبه على التأليف والاستنباط، يقول ولد الحاج ابراهيم إذن:" وكان الركب يمشي من شنقيط إلى مكة كل عام يحج معهم من أراد الحج من سائر الآفاق حتى أن أهل هذه البلاد، أعني من الساقية الحمراء إلى آروان يعرفون عند أهل المشرق بالشناقطة".

وذكرها الشيخ محمد المامي (نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر) في كتابه:" البادية" (17) الذي يعتبر من أهم المخطوطات التي عثرنا عليها لحد الآن في وصفه وتحليله للحالة السياسية والاجتماعية للمجتمع في عصره رغم انجرافه في بعض الأحيان للانتصار لشريحة الزوايا على حساب القبائل المحاربة.

يقول الشيخ محمد المامي:" إن علم أهل المنكب البرزخي عند الأمصار الشناقطة".

كما حددها ابن الامين الشنقيطي في كتابه " الوسيط في تراجم أدباء شنقيط"(18) الذي لا يعدو أن يكون مجموعة من المعلومات المأخوذة عن جهة تكاد تكون واحدة من جهات البلاد – رغم تعرضه المبعثر لبعض الأماكن والقبائل الأخرى– بشكل يغيب معه الحس العلمي والطرح المنهجي والموضوعي للظواهر المدروسة، وإن كانت مادته الخام تتميز بالوفرة لاعتمادها على الرواية الشفهية والشهادات المحلية، يقول ابن الأمين إذن:" ويحد هذا القطر الشنقيطي شمالا الساقية الحمراء وهي تابعة له، وجنوبا قاع ابن هيبة وهو تابع ايضا له، وشرقا ولاته والنعمة وهما تابعان له وغربا بلاد السينغال وهي خارجة عنه...) والصحيح هو " يحدها من الغرب المحيط الاطلسي ومن الجنوب السينغال" كما صحح ذلك أحمد جمال ولد الحسن (19) في أطروحته وكما هو واقع فعلا حسب رأينا. لكن ألم يتحالف التكرور مع المرابطين في البلاد الشنقيطية فترة حكمهم؟ فمن هم التكرور إذن؟ وكيف أصبحت البلاد تعرف باسمهم في تلك الفترة ومابعدها؟

ج- بلاد التكرور: ترجع هذه التسمية إلى مدينة " التكرور" : أو " تكرور" التي ستتأسس عليها أول مملكة إسلامية في السودان الافريقي على يد زعيمها وارجابي الذي كان قد أسلم، ولما اسس المرابطون دولتهم في تلك الحدود (449هـ/1056م) سارع إبنه: لي ابن وارجابي إلى التحالف معهم (20) يقول البكري : " مدينة تكرور أهلها سودان وكانوا على ما ساير السودان عليه من المجوسية والدكاكير، والدكور عندهم الصنم، حتى وليهم وارجابي ابن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الاسلام وحملهم عليها وحقق بصائرهم فيها وتوفي ارجابي سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة (432هـ) فأهل تكرور اليوم مسلمون..."(21).

هذه الشهادة التي تؤرخ لوفاة أمير التكرور المسلم ببداية القرن الخامس الهجري، تدل على

أن التكرور أقدم من المرابطين (449هـ)، لكن تحالفهم مع هذه الدولة المرابطية سيجعلهم يمتزجون نسبيا بالفاتحين الجدد في هذه المنطقة بدرجة ستصبح معها تسميتهم علما على البلاد فيما بعد وربما في تلك الفترة ايضا، أما قبل ذلك فكانت تسميتهم مزاحمة ربما من طرف غانا التي كانت قبل المرابطين تحجب كل سلطة للإسم غيرها اقوتها ونفوذها في ذلك الوقت.

من بين الدراسات المحلية القليلة التي اعتمدت هذه التسمية في طرحها؛ دراسة البرتلي الولاتي (ت1219هـ/1804م) في كتابه " فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور ، وهي دراسة يغلب عليها الطابع السردي للأعيان والعلماء وبعض المناطق دون الوصول إلى نتائج ذات بال عن طبيعة هذا المجتمع وعلاقاته الاجتماعية وقيمته الجهادية والسياسية في المنطقة، وإن كانت تستحق التقدير لما عانى صاحبها من مجهودات جبارة في الجمع والتأليف وتقديم مادة معرفية حرية بالتنويه أبسطها تحديدها للمجال الترابي لبلاد التكرور وبدقة في ذلك الوقت، الذي يتسم باضطراب التسميات والحدود، حين قال :" التكرور إقليم واسع ممتد شرقا إلى آدغاغ (22) ومغربا الى بحر بني الزناكية (23) وجنوبا إلى بيط، وشمالا إلى أدرار ".(24).

أما بابه بن الشيخ سيديا في القرن التاسع عشر فقال في إطار هذه التسمية :" إن بلاد آدرار وتكانت والكبله والساحل والحوض إلى بلاد السودان هي بلاد التكرور" (25)، ونفس التسمية نجدها عند سيد احمد بن حبت الغلاوي في مخطوطة : الملفقة في ذكر القبائل التي خرجت من مراكش إلى بلاد التكرور (26)، وهو مخطوط مهم في إعطائه فكرة عن تاريخ انتقال هذه القبائل وأصولها، ولكنه يفتقر إلى الطرح المنهجي وكذا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لهذه المجموعات.

غير أن ما يهمنا هنا هو أن هذه التسمية رغم تداولها في فترات متأخرة لدى أصحاب الثقافة العالمة ليست أكثر حظوة من تسميات أخرى ظهرت بفعل منطق الأحداث وأصبحت أكثر رواجا في الساحة السياسية لهذه البلاد. مثل بلاد المغافرة، وبلاد السيبه فيما بعد والمنكب البرزخي وبلاد الفترة، وبين هذا وذاك ارض البيضان. فما هي دلالة هذه الاسماء إذن؟ وكيف تم تعلقيها كأسماء رسمية لهذه المنطقة؟

د- بلاد المغافرة: وسميت بهذا الاسم نسبة إلى قبائل المغافرة التي يجمعها النسابون إلى مغفر بن أودي بن حسان (من قبائل معقل) زحفت.. من جنوب المغرب الأقصى إلى موريتانيا الراهنة بداية من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على شكل موجات متتالية، وقد استولوا على السلطة العسكرية في غالب نواحي البلاد وأسسوا إمارات ورئاسات أهمها :

الذي شيده المرابطون لدرجة اصبحت معها - كما أسلفنا- منطلقا للحجيج ومركزا تجاريا مهما، جعل المشارقة يعرفون إنسان هذه البلاد بالشنقيطي أما النقطة الثالثة: فتتمثل في كون كل المستنيرين من أبناء هذا المجتمع الإسلامي في عمومه أصبحوا يجعلون من تاريخ المرابطين مثلهم الأسمى في الجهاد وتوحيد كلمة المسلمين بشكل جعل شنقيط تظل حاضرة في الأذهان، ليس كعاصمة تاريخية فحسب بل كحضارة وتراث إسلامي ينبغي الاعتداد به. من هنا حسب ظننا أصبحت تسمية شنقيط هي المسيطرة. ومن هنا أيضا قوبلت من طرف المجتمع التقليدي بالقبول والاعتزاز.

الهوامش

1- الشيخ سيديا: مخطوط بعنوان " تاريه إمارتي إدوعيش ومشظوف - حققه ازيد بيه ولد محمد محمود، كلية الآداب، الرباط ص : 90 1991

2-.....

3- ولد السعد (محمد المختار) : حرب شربه - أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي الموريتاني- المعهد الموريتاني للبحث العلمي - مشروع التقاليد المكتوبة والمروية بموريتانيا 1993، ص 36

4- النحو (الخليل) : بلاد شنقيط، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص36

5- أبوبكر بن عامر : هو القائد المرابطي الذي استطاع أن يفتح بلاد السودان ويرسخ دعائم الدولة الاسلامية في الصحراء في القرن الحادي عشر

6- البكري (أبوعيد) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب : المسالك والممالك، مطبعة الحكومة، الجزائر 1857) مكتبة المثنى ببغداد، ص 170

7- أحمد محمود(حسن) قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى والوسطى دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ ص 73

8- ذكره ابن خلدون : كتاب العبر، ج6، القلقشندي، صبح الاعشى ج 5، ذكر ابن خلدون في نفس المصدر أن حلف الملثمين المسلم قد نجح نجاحا كبيرا على غانا ووضع يده على ميدنة أوداغست (بمنطقة الحوض الغربي، جنوب شرقي البلاد الموريتانية حاليا)، وفرض الجزية على الشعب المغلوب على أمره، لتسترد بعد ذلك غانا قوتها بعد انفصام الحلف الصنهاجي الأول سنة 306هـ، ولكن دون أن تتمكن من استرجاع أملاكها السابقة بعد استقرار القبائل الملثمة في البلاد التي فتحتها، والتي ذكر ابن حوقل في كتابه " المسالك" {ص: 71} أن القبائل الصنهاجية ستعيد السيطرة عليها حوالي سنة 350هـ في حلفها الثاني الذي سينفصل أيضا

ويعيد قوته من جديد في عهد يحيى بن ابراهيم الذي يؤكد البكري في كتابه " المغرب" زعامته لقبيلة كدالة التي تبنت الحركة الدينية التي انتهت بقيام دولة المرابطين في الصحراء الموريتانية بقيادة أبوبكر بن عامر ، ثم فيما بعد مراكش بالمغرب بقيادة ابن عمه أو أخيه سحب الرواية الثانية يوسف بن تاشفين.

9- يقول د. حسن احمد محمود، مرجع سبق كره، ص 186: " بعد أن تم للمرابطين بسط سيادتهم على الصحراء، اطمأنوا من ناحية الجنوب، بدأت جموعهم تطوق أبواب المغرب،وتندفع صوب الشمال فاتحة غازية، وتفتح في تاريخ المغرب على الخصوص وتاريخ العالم الاسلامي على العموم صفحة جديدة"

10- محمد اليدالي (الشيخ) : نصوص من التاريخ الموريتاني (شيم الزوايا - امر الولي ناصر الدين، رسالة النصيحة) : تقديم تحقيق محمذن ولد باباه- بيت الحكمة - قرطاج- 1990-ص:70.

11- أزوكي : مدينة تاريخية بمنطقة آدرار " كانت قائمة قبل عهد المرابطين، ثم جاء بافور من سوس فغرسوا النخيل، وأحكموا قواعد زراعة الري وادخلوا معهم الخيل ووسائل تنميتها" نفس المصدر ونفس الصفحة.

12- ذكره ولد السعد في "حرب شربيه" مرجع سبق ذكره، ص: 36.

13- عبد الله بن ياسين بن مكول بن سيرعلي من اصل صنهاجي، وقد اختلف المؤرخون في إسم القبيلة التي ينتسب إليها، فذكر بعضهم مثل أبي زرع في " روض القرطاس" ص : 87،"جامع تواريخ فاس" ص: 28،"مفاخر البربر" ص، 52، أنه ينتسب الى قبيلة جزولة في اقصى المغرب الجنوبي قرب جبال درنه، ولكن البكري في " المغرب" ص:165، انفرد برواية تؤكد أنه ولد في قرية "تيمامانـاوت" في طرف صحراء غانا قرب "أوداغست" وبالتالي قد يكون من قبيلة كداله، غير أن ما يهمنا هو دوره الريادي مع يحيى بن ابراهيم في جمع كلمة الملثمين وقوتهم. ذكره ايضا حسن احمد محمود، مرجع سبق ذكره، ص 114.

14- الإمام الحضرمي المرادي : قدم به ابوبكر بن عمر اللمتوني قائد المرابطين بصحراء الملثمين (موريتانيا حاليا) من أغمات للانتفاع بعلمه بداية القرن 11م ولمساعدته في قيام دولة وفتوحات اسلامية بالمنطقة، فكان دوره مماثلا لدور عبد الله بن ياسين في المنطقة.

15- محمد البدالي (الشيخ) مرجع سبق ذكره، ص: 78.

16- ولد الحاج ابراهيم (سيدي عبد الله) صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد قلي: مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي - انواكشوط.

17- الشيخ محمد المامي : البادية: مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي - انواكشوط

18- ابن الامين الشمقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط- القاهرة - 1961،ص: 422.

19- ولد الحسن(احمد جمال) : الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الأساليب، أطروحة الدكتوراه تونس 1986.

20- البكري : مصدر سبق ذكره- ص 167 ؛ توفي البكري سنة 487هـ، وهذا ما يؤكد معاصرته لنفس الفترة الزمنية؛.

21- البكري : نفس المصدر

21- البكري : نفس المصدر، ص : 172؛هذه الفترة التي ذكرها البركي تخالف بشكل واضح ما ذكره ولد السعد، مرجع سبق ذكره ، ص 37، من مملكة التكرور تم تشييدها في القرن 16م لكن قد نوافقه على أن الأمر يتعلق بقيام مملكة اخرى بنفس الاسم.

22- في نسخة أخرى (أ) : ادغانبج (أشار إلى ذلك المحقق)

23- بحر الزناكه أو بحر صنهاجة هو الاسم الأول لنهر السينغال منذ الفتح الاسلامي، ولكن مع التدخل الاستعماري ومحاولته إزالة كل معالم مجتمع البيضان الحضارية والثقافية لصالح مجتمعات أخرى اقل خطرا عليه، قام باستبدال الاسماء التاريخية باسماء جديدة.

24- أبو عبد الله الطالب محمد بن ابي بكر البرتلي الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الاسلامي بيروت، 1981، ص: 26 والولاتي نسبة الى مدينة ولاته التاريخية، والتي لا تزال قائمة لحد الآن في الحضو الشرقي، شرق البلاد).

25- الشيخ سيديا (بابه) مرجع سبق ذكره، ص 46.

26- ابن حبت الغلاوي (سيد احمد) : الملفقة في ذكر القبائل التي خرجت من مراكش الى بلاد التكرور، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، ص 1.

27- ابن بابه العلوي (محمد فال) : التكملة في تاريخ إمارتي لبراكنه والترارزة تحقيق احمد ولد الحسن المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة تونس 1986، ص: 22 الحاشية رقم (1)

28- لقد تم تأسيس إمارة اولاد امبارك قبل حرب شربيه، أي قبل الإمارات الموريتانية الاخرى.

29- أن معنى شربيه الاصطلاحي هي الحرب التي قامت في منتصف القرن 11 هـ/17م بدأت بزعامة الإمام ناصر الدين، استهدفت بلاد السودان فيما وراء النهر... ففتحوا البلاد بسرعة

مذهلة، وأقاموا سلطتهم عليها، وفي عمرة الظفر والانتصار أثار عليهم المغافرة بخلع بيعتهم وأوقدوا نارا للحرب... انتهت بهزيمة الزوايا وانكسار شوكتهم وإبادة جيلين من خيرتهم..." لكن هذه المعلومات ليس صحيحة حسب علمنا، وإن كنا لا نستطيع أن نحسم في شأن هذه الحرب التي اختلطت فيها الحقيقة بالخيال لدرجة اصبح كل واحد يؤول اسبابها لصالحه على الرغم من الإجماع على نتائجها.

إلا أننا نرى في رواية ولد السعد المشهورة في :(حرب شربيه، مرجع سبق ذكره، ص 140،139) سندا يبحث في خضم التناقض الايديولوجي بين المجموعات البيضانية عن الحقة وهي أن :" المغافرة لم يعترفوا بإمامة ناصر الدين وكانوا بمعزل في أمكزر فجاء جابي زكاته لبيه (بفتح الباء الأولي وتشديد الثانية على الفتح) اصكاعي حليف اندكسعد شيخ تاشدبيت، وأراد أخذ الزكاة لإدخالها في بيت مال المسلمين الذي كان ناصر الدين يريد إنشاءه فرفض اندكسعد .. وقال إنه سيخرج الزكاة ويصرفها لمن يستحقها، معللا موقفه بكونه لم يجد إماما للمسلمين كلهم وإنما وجد فئتين ولم يتخذ منهما موقفا منذ قدومه من شنقيط (المدينة)، وطلب منه الاحتكام الى الشرع بعد مهلة ثلاثة أيام وساق إبله مساء نفس اليوم واحتمى بهدي (أمير التورارزة)، ولما انقضت المهلة عاد جابي زكاة ناصر الدين فوجد " ببه" عند هدي الذي طلب منه تركه، فرفض ناصر الدين وخير هدي بين عد الإبل وإخراج الزكاة أو الحرب فطلب منه هدي هو الآخر مهلة ثلاثة أيام ليعطيه الجواب النهائي، وأرسل هدي فارسين أحدهما محمود بن عبل (بتشديد الباء واللام مع الفتح) إلى الحاج عبد الله ولد بو المختار يستفتيه في الامر فرفض إجابتهما قائلا:إن محمود اجبار وهو يرفض التعامل مع الجبابرة وطلب حضور هدي نفسه، فأتاه هدي صاذلا، والصائل دمه عدر وأورد فيه أية.. والحديث القائل » الأئمة من قريش » طاعنا على ما يبدو في إمامة ناصر الدين، وجاء ناصر الدين وقامت الحرب إمقابلة أجراها ولد السعد مع ابراهيم السالم ولد عبد الل بتاريخ 04-12-1981)، أما عن سبب تسمية هذه الحرب باسم شربيه، فإن الرواية الشائعة هي تلك الرواية القائلة بأن " الشر" يعني هنا "الحرب" وببه هو ببه ولد أصور اصكاعي الذي منع الزكاة وأعلن عليه ناصر الدين الحرب، وبالتالي يكون هذا الشر الذي هو الحرب منسوبا إلى هذا الرجل الذي نؤيده لدلالته اللغوية والمنطقية كذلك، أما الرواية التي تؤيدها صاحب كتاب " حرب شربيه" (ولد السعد)، مرجع سبق ذكره، ومن قبله محمد اليدالي في « شيم الزوايا- مصدر سبق ذكره » وهو رأي لا يخلوا من الأهمية لتقضيه للأحداث ودلالتها العميقة، فإن الحرب

تسمى ب "شربيه" بشين مضمومة وراء ساكنة وباء موحدة مضمومة وأخرى مفتوحة مشددة.. وهو عند أهل البلاد من أصوات الحرب..ز يحضون بذلك على قتال العدو إذا لقيهم، وبذلك سميت به هذه الحرب لكثرة هذه الأصوات الحماسية فيها من الطرفين.

30- أشار إلى ذلك إزيدبيه ولد محمد محمود في تحقيقه - مرجع سبق ذكره، ص 47.

31- سلطان مالي في ذلك الوقت، ومنسي (بفتح الميم وسكون النون وفتح السين المهمل) معناه السلطان، وموسى إسمه ذكره ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، ج 2 المكتبة التجارية الكبرى مصر 1383/1964ص:197 السطرين الأخيرين.

32- ابن بطوطة : نفس المصدر، ص 205.

33- ولد مناه (احمد محفوظ) : ميراث السيبه، دراسة في تاريخ الثقافة السياسية ببلاد شنقيط المطبعة الوطنية نواكشوط 1995، ص 1.

34- الشيخ محمد المامي : مصدر سبق ذكره، ص 27.

35- إن الأطروحة السليمة التي كرسها الانقساميون للمجموعات الدينية في البلاد الإسلامية ليست صحيحة في كل الأحيان، ذلك أنه لا وجود لزوايا حسب علمنا في موريتانيا غير محاربين بدرجة أو بأخرى أو أصحاب واقعة على الأقل، كما أن طابعهم الديني يزكي ذلك ويشهد عليه في شكل تحركات جهادية بدءا بالمرابطين ومرورا بالولي ناصر الدين وانتهاء ببعض المقاومين من الزوايا للتدخل الاستعماري، وفي المغرب مثلا فإن رجوعنا ارواية » امنصاله » التي وصلت، حسب عبد الله الحمودي، الى مكانتها وقوتها عن طريق العنف، أكبر دليل على ذلك.

وبالمقابل فإن المحاربين لم يكونوا الاثليين كذلك بل كانوا يعتمدون على فتاوي دينية أثناء أي تحرك عسكري جاد، مثل استشارة الأمير هدي للفقيه عبد الله ولد بو المختار آنف الذكر في شأن ببه الذي احتمى به وما تبع ذلك من شؤون الحرب بينه وبين الولي ناصر الدين، ثم اعتماد الأمير محمد شين أمير تكانت على الفقيه سيدي عبد الله ولد الحاج ابراهيم كقاض الامارة، وكذلك الأمر بالنسبة لصالح ولد عبد الوهاب مع السلطة المركزية لقبيلته أولاد الناصر.

وأوقدوا نارا للحرب... انتهت بهزيمة الزوايا وانكسار شوكتهم وإبادة جيلين من خيرتهم..." لكن هذه المعلومات ليس صحيحة حسب علمنا، وإن كنا لا نستطيع أن نحسم في شأن هذه الحرب التي اختلطت فيها الحقيقة بالخيال لدرجة اصبح كل واحد يؤول اسبابها لصالحه على الرغم من الإجماع على نتائجها.

إلا أننا نرى في رواية ولد السعد المشهورة في :(حرب شربيه، مرجع سبق ذكره، ص 139،140) سندا يبحث في خضم التناقض الايديولوجي بين المجموعات البيضانية عن الحقة وهي أن :" المغافرة لم يعترفوا بإمامة ناصر الدين وكانوا بمعزل في أمكزر فجاء جابي زكاته لبيه (بفتح الباء الأولي وتشديد الثانية على الفتح) اصكاعي حليف اندكسعد شيخ تاشدبيت، وأراد أخذ الزكاة لإدخالها في بيت مال المسلمين الذي كان ناصر الدين يريد إنشاءه فرفض اندكسعد .. وقال إنه سيخرج الزكاة ويصرفها لمن يستحقها، معللا موقفه بكونه لم يجد إماما للمسلمين كلهم وإنما وجد فئتين ولم يتخذ منهما موقفا منذ قدومه من شنقيط (المدينة)، وطلب منه الاحتكام الى الشرع بعد مهلة ثلاثة أيام وساق إبله مساء نفس اليوم واحتمى بهدي (أمير التوارزة)، ولما انقضت المهلة عاد جابي زكاة ناصر الدين فوجد " بيه" عند هدي الذي طلب منه تركه، فرفض ناصر الدين وخير هدي بين عد الإبل وإخراج الزكاة أو الحرب فطلب منه هدي هو الآخر مهلة ثلاثة أيام ليعطيه الجواب النهائي، وأرسل هدي فارسين أحدهما محمود بن عبل (بتشديد الباء واللام مع الفتح) إلى الحاج عبد الله ولد بو المختار يستفتيه في الامر فرفض إجابتهما قائلا:إن محمود اجبار وهو يرفض التعامل مع الجبابرة وطلب حضور هدي نفسه، فأتاه هدي صاذلا، والصائل دمه عدر وأورد فيه آية.. والحديث القائل » الأئمة من قريش » طاعنا على ما يبدو في إمامة ناصر الدين، وجاء ناصر الدين وقامت الحرب إمقابلة أجراها ولد السعد مع ابراهيم السالم ولد عبد الل بتاريخ 04-12-1981)، أما عن سبب تسمية هذه الحرب باسم شربيه، فإن الرواية الشائعة هي تلك الرواية القائلة بأن " الشر" يعني هنا "الحرب" وبيه هو بيه ولد أصور اصكاعي الذي منع الزكاة وأعلن عليه ناصر الدين الحرب، وبالتالي يكون هذا الشر الذي هو الحرب منسوبا إلى هذا الرجل الذي نؤيده لدلالته اللغوية والمنطقية كذلك، أما الرواية التي تؤيدها صاحب كتاب " حرب شربيه" (ولد السعد)، مرجع سبق ذكره، ومن قبله محمد اليدالي في « شيم الزوايا- مصدر سبق ذكره » وهو رأي لا يخلوا من الأهمية لتقضيه للأحداث ودلالتها العميقة، فإن الحرب تسمى ب "شربيه" بشين مضمومة وراء ساكنة وباء موحدة مضمومة وأخرى مفتوحة مشددة..

ومن بيئة الى بيئة ومن عصر الى عسر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة والاتباطات بين الإنسان والكون وبين بعض الانسان وبعض"(3).

ويقول شقيقه محمد قطب معرفا الفن الإسلامي (والأدب صنف من أصنافه) هو التعبير الجميل عن الكون والحياة الإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان ... فهو الذى يهيء اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التى تلتقي عندها كل حقائق الوجود (4).

ويقول الدكتور نجيب الكيلاني: « ان الادب الإسلامي تعبير فني جميل مؤثر من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم"(5).

ويقول الدكتور عماد الدين خليل هو: « تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود »(6).

وصفوة القول إن التعاريق السابقة تتفق على خطوط عريضة تتمثل في دعامتين لازمتين لأي عمل أدبي إسلامي جاد وهما:

أ- التعبير الفني المؤثر

ب- التصور الإسلامي للوجود

أ- التعبير الفني المؤثر: أي قدرة الأديب على التأثير على سامعيه بواسطة خطابه، لأن الخطاب المؤثر يحمل بعدا رساليا حضاريا يعتبر أكثر الوسائل فعالية في تربية الرأي العام هذيبه حتى يكون قادرا على رفع التحدي القائم ا المرتقب، وقد خص عماد الدين خليل حده ذلك الخطاب بالكلمة دون سواها من سائل التعبير.

ب- التصور الإسلامي للوجود: إن الأديب المسلم يتخذ من الإسلام وحده إطارا مرجعيا في رؤيته لهذه الحياة المتعددة الجوانب والأشكال.

هذه هي أهم دعائم الأدب الإسلامي، إن أي خروج على هذه الأسس سوف يخرج العمل الأدبي من حظيرة ذلك الصنف من الأدب.

ويكاد النقاد الذين خاضوا غمار هذا الموضوع من أجل الوصول الى تعريف موحد لهذا الأدب لايخرجون عن تلك التعاريف السابقة بل إن كثيرا من اللاحقين ربما اختلط عليه الأدب الإسلامي بغيره من الأجناس الثقافية كالفقه والتاريخ ... الخ، فصار كل من له ثقافة اسلامية يتحدث في هذا الأدب حديث المتخصص، الأمر الذى أدى الى تبلور اتجاهين رئيسيين في النظرة الى هذا الأدب:

1- الاتجاه الأول: يرى أصحاب هذاالاتجاه أن الادب مهما كان جنسه لاتصدق عليه صفة "الاسلامية" الا اذا ظهرت فيه سمة الإسلام

واضحة جلية وزخرا بالالفاظ التي لها انتماء لذلك القاموس او الحقل الدلالي.

2- الاتجاه الثاني: أما هذا الاتجاه فهو اتجاه منفتح يحال أن يدخل ضمن "الاسلامية" كل انتاج أدبي تمثلت فيه القيم الايمانية بعيدا عن معتقد صاحبه وتصوره الشامل للحياة والوجود، أي ما يسميه محمد اقبال عروي : « دائرة الابعاد الضمنية الإسلامية » في كتابه جمالية الأدب الإسلامي.

إن كلا التصورين السابقين ينطوى على قصور، فالأول يقود هذاالعمل الأدبي الى الخطابية التقريرية والنظرة التبسيطية للأمور بفهمه للأدب على أنه حكم ونصائح اخلاقية وارشادات دينية تقم سلوك المجتمع تصاغ في قالب قصيدة تعليمية او مسرحية تربوية او قصة توجيهية. إن المنظور الإسلامي للأدب والفن والجمال غير هذا ويجب الا يكون هكذا أبدا، لأن الله سبحانه وتعالى كتب الإحسان الإتقان في كل شيء ورسولنا عليه الصلاة والسلام علمنا أن الله: يحب إذا عمل أحدنا عملا أن يتقنه. وتحويل الأدب الإسلامي الى تعاليم وخطب وإرشادات ليس احسانا ولا اتقانا، وانما هو اعتماد أقربالطرق وأسهلها إن على مستوى اللغة أ على مستى التقنية لطرح هذا التصر او ذاك، والجعوة الى هذه القيمة ا تلك(7).

أما الاتجاه الثاني فقد وسع من دائرة القيم الايمانية حتى قبل فيها غير المسلم، الأمر الذى قد يمكن من إدخال نصوص "الماركس ا سارتر" وغيرهما في الأدب الإسلامي لاتفاقهما في الرؤية مع المنظور الإسلامي في مواضيع مثل التنديد بالزلم والمطالبة بالعدل والمساااة ...الخ. إن لهذه النظرة مخاطرها الجسيمة لأنها تميع هذا الأدب وتفقده لخاصيته الجوهرية التى يمتاز بها عن غيره من المذاهب والتصورات وهي (الإسلامية العقدية).

إن الأدب الإسلامي ليس أدبا منغلقا متوقعا على نفسه، ولا أدبا منفتحا متسيبا، وإنما هو وسط بين هذا وذاك، إنه انتاج فني ابداعي لأدباء، ينتمون عقيديا للحظيرة الإسلامية وهو في الوقت نفسه يعكس هوم المجتمع ومشاغله وفق الرؤية الاسلامية للكون والحياة والإنسان. إذا كان ذلك هو تعريف الأدب الإسلامي فما هو مفهوم الشعر الإسلامي وما أهم خصائصه المضمونية؟.

مفهوم الشعر الإسلامي: من خلال التعريف السابق للأدب الإسلامي يمكن أن نستخلص تعريفا نقديا للشعر الإسلامي لأنه جانب من جانبه ومرتكز من مرتكزاته فهو "التعبير الفني المؤثر القاءم على الوزن والموسيقى' المعانق

لايطويه التشابه الأصم والتجريد الميت الطى قد يعرضه للتحطيم في أية لحظة (9).

4- الانفتاح: إن الشعر الإسمي شعر منفتح بعيد عن التقوقع والانغلاق والتسيب والعبثية يقوم محسن عبد الحميد مؤطدا لما ذهبنا اليه : "لم يكن المسلمون منغلقين، فلقد فتحوا عقلهم ومجتمعاهم لتيار الحضارات الإنسانية وواجهوها مواجهة واعية من خلال رؤية عقيدقية اضحة حافظت على شخصيتهم ورصانة موقفهم وتوازن حركتهم" (10).

5- شعر مقاتل: إن الشعر الذى يحمل أفكارا طلائعية هو وحده القادر على التأثير في المجتمعات، هنا يأتي دور الكلمة الطيبة الملتزمة فالشاعر المسلم يقاتل جاهلية عصره في تجلياتها المختلفة. والشعر المقاتل شعر ملتزم دائما، لأن الشعر إن لم يكن مؤمنا ومقاتلا وقع في الهيمان والضياع وسقط في مستنقع الانحراف والسلبية، فالمقاتل الحق هو الذى لايحمل الى المعركة سلاحا لا يعرف كيف يطلق منه رصاصة أو سهما، إن معركة الشعر المقاتل هي معركة شعراء كبار عرفوا كيف ينشؤون الكلمات وكيف يضربون الأهداف المنشودة بعيدا عن التهور الفضي(11).

6- التفاؤل والأمل: إن الشاعر المسلم يستقي من اطار مرجعي يجعل التفاؤل المدعم فرصة للتحدي والاستعلاء على جميع صنوف الأذى، الأمر الذى سيجعل هذا الشعر كله أملا تفاؤلا واستبشارا بالمستقبل الايجابي رغم النكسات التى يهاني منها الشاعر صباح مساء ويتلظى بشرورها في جميع مناحي حياته.

وهذا لايعني أن هذا الشاعر يتعامل مع الامور تعاملا مثاليا طموحا ينزر لما ينبغي أن يكون دون أن يهتم بما هو قائم كما في اخلاقيات المذهر البرجوازي، فتلاؤلية المسلم تفاؤلية حذرة منبعثة من رماد المآسي والمعاناة.

وفي هذا الاطار يجدر بنا أن نفرق ضمن ثنائية (التفاؤل/التشاؤم) بين نفسيتين مختلفتين هما: (التشاؤم/الشعور بالمأساة)، فالشعور بالمأساة صفة تلازم كل من يتفاعل بصدق مع الاقع الاجتماعي، انه حالة منسجمة مع طبيعة النفس الانسانية، وليس من الضروري ان يسوق صاحبه الى التشاؤم والشعور بالضياع اذ الفرق بينهما اسع، وهذا ما لم يفطن اليه بعض الادباء عربيا عالميا فتشاءموا بدعوى الشعور بالمأساة واتهموا كل متفائل بالبرجوازية والسلبية تجاه مشاكل المجتمع (12).

والجدير بالذكر أن الشعور بالمأساة يتحول عند الشاعر المسلم (بعكس التيارات الوجودية والعبثية) الى رافد يمد التفاول بشروط البقاء والاستمرار... إنها الصبغة القرآنية التى

تخرج من السلبي – حسب مفهوم الناس – بذور الايجاب والنماء (13). وبإعادة نسق هذه الخصائص يمكن القل ان الشعر الإسلامي شعر ملتزم مسؤول يضحي أصحابه بالغالي والنفيس في سبيل الوصول الى الهدف المنشود.

وفي مقابل هذه الرؤية المتميزة نجد « سارتر » في أل مرة يخرج الشعر من دائرة الالتزام بدعى ان الالتزام يبحث عن الحقائق والشعر عكس ذلك يقول لى بعض الناقدين في زهو المنتصر : "لن تستطيع بحال أن تحلم بجعل الشعر التزاميا وهذا حق ولم أبلغ ذلك »(14).

لقد تناول القرآن الكريم هذاالإشكال منذ قرون ولكنه تناوله بصيغة أكثر شمولية وموضوعية حين أكد أن التجربة الشعرية في الأصل تجربة هيمان غير عقلاني تتحول دونما ضبط من مكان الى آخر ، من موقف الى موقف، فهي غير ملتزمة أبدا، ولن تكون تلك التجربة ملتزمة الا حين تأوي الى ساحة الإيمان وتكون مجاهد ومقاتلة قال تعالى: {والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنه في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لايفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا انتصروا من بعد ما ظلموا} (15).

هنا يبدو الشعر الذى لايلتزم خط الإيمان والحركة والفعل شعرا كاذبا ... شعرا لايملك أيما ثقل نوعي شخصية مستقلة وأصالة ذاتية تجعله يقف شامخا في مواجهة الناس حاضرا في عقولهم وشعروهم، شعرا يبلغ من تفلته من الرؤية العقيدية وهروبه من القضايا الاساسية التي تهم الإنسان، ان يخف ويخف حتى تطيش به الموازين فينتقل من مكان الى مكان دونما توجه محدد هدف واضح(16).

كانت هذه أهم الخصائص المضمونية لهذا الشعر وسنحاول أن نتعرف في السطور التالية على البعد الفني حتى تكتمل الصرة وتتضح الرؤية فما أبرز الخصائص الفنية لهذا الشعر ، وما أوجه الترابط بين شكله ومضمونه.

الخصائص الفنية في الشعر الإسلامي: يعتبر الشكل الفني عنصرا مهما في العملية الابداعية لأنه يشكل الثوب الذى تقدم فيه الأفكار .. فكم من حقيقة ناصعة ضات بسبب سوء عرضها على الناس وكم من باطل مكن له دعاة مهرة، بل إن الحقيقة الواحدة قد يختلف تقييمنا لها بحسب الطريقة التى قدمت بها الينا. لذلك ينبغى أن نعتنى بالشكل نؤكد على أهمية الابداع والتعامل مع الجديد فتقليد امرىء القيس وطرفة النابغة والأعشى مثلا ليس أقرب الى الشرع من تقليد شاكسبير وبشكين، وفكتور هيغ، ودوستوفسكي، فما المانع إذن أن نكون على مستوى عرصنا ونخاكب الناس بما يفهمون؟(17).

فالمطلوب إذن من الشعر الاسلامي المعاصر هو قوة اللغة واشراقها والبعد عن التكلف والتصنع والتقوقع حول القديم يقوم حكمت صالح: "اما الشكل فبقدر ما نحن بحاجة الى تراثنا القديم نحن بحاجة الى التجيد، ومن ثم العمل بكل بصيرة وحذر على صهرهما في بوتقة واحدة لانتاج اعمال شعرية تخرج أدبنا العربي من دوائر السقوط ومحيطات التقوقع"(18).

ثم يضيف بشكل أضح داعيا الى الاستفادة من الآخر شكلا ومنهجا، مؤكدا على ضرورة انسجام كل ذلك مع الرؤية الاسلامية،" ولامانع لأدبنا الاسلامي المعاصر من الاستفادة من الرمزية وحتى السريالية في قوالبها وطريقة طرحها للمضامين، طالما كانت مجرد محاولات وتجارب، وطالما كان الاديب ملتزما الخطوط العامة لمسار الشخصية الإسلامية(19). ونشير هنا الى ان التفريق بين الشكل والمضمون قد خلف مضاعفات أدت الى تبلور تيارين أدبيين أولهما يحتفي بالفكرة على حساب الشكل الفني وثانيهما يوغل في الابهام والغموض. وقجد غاب عن هؤلاء وأولئك ان التفريق بين الشكل والمضمون في النص الادبي الرائد امر عسير نزرا لعلاقتهما العضوية حاجة كل منهما للآخر في عملية الابداع (20) وفي أعقاب هذا الموضوع نشير الى بعض التحديات والعقبات التى تواجه الأدب الاسلامي فنذكر منها صعوبة تحديد هذا المصطلح واختلاف الدارسين في فهمه فمنهم من يوسع جائرته حتى يشمل كل أدب تتجلى فيه القيم الانسانية وان كان بعيدا من التصور الاسلامي، ومنهم يرى أن الأدب العربي أدب اسلامي، وبالتالي فإن هذا اللون الأدبي لامعنى له، والحقيقة ان الأدب الاسلامي لايتعارض مع الادب العربي ولايزاحمه في مقاعده، اذ بينهما علاقة الرحم والقرابة، فالادب العربي مصطلح يطلق على الاعمال الادبية المنتجة باللغة العربية أيا كانت مضامينها واتجاهاتها وعصورها والادب الاسلامي مصطلح يطلق على الاعمال الادبية التى تعالج قضية ما برؤية اسلامية صافية سواء كانت مكتوبة باللغة العربية او بغيرها من اللغات(21).

الهوامش:

1- أنظر مثلا:

- شعر الدعوة الاسمية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين جمع وتحقيق: عبد الله حامد الحامد منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية - سنة 1391هـ.
- شعر الدعة الاسلامية في العصر الاموي، جمع وتحقيق عبد العزيز الزبير، ومحمد الاطرم - الرياض 1392
- شعر الدعوة الاسلامية في العصر العباسي الاول جمع وتحقيق عبد الرحمن الحيش 1394هـ
- شعر الدعوة الاسلامية في العصر العباسر الثاني جمع وتحقيق عاتض الردادي 1392 هـ
- شعر الدعوة الاسلامية في العصر العباسي الثالث: جمع وتحقيق محمد بن علي الصامل وعبد الله بن صالح العريني - الرياض 1401 هـ
- القصص الاسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين لأحمد بن حافظ الحكمي 1396 هـ

- د/نعمان القاضي: شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام - دار المعارف - القاهرة 1965
-د/نعمان القاضي: شعر الفرق الاسلامية - دار المعارف القاهرة 1970
-د/محمد علي الهرفي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام - بيروت 1400 هـ
2- من ذلك:
- عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت: « اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك" ابن حجر: فتح الباري 446/10 ط - دار المعرفة بيروت.
- " جاهدوا المشركين بألسنتكم وأموالكم وأنفسكم « أخرجه ابو داود في كتاب الجهاد 17
- عن عمار بن ياسر قال: لما هجانا المشركون شكونا ذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "قولوا لهم كما يقولون لكم". رواه الامام احمد في مسنده 264/4
- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسل الله صلى الله عليه سلم عن الشعر فقال: « حسنه حسن وقبيحه قبيح" ابن حجر. فتح الباري ج 539/10
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن من الشعر حكمة » أخرجه البخاري. الجامع الصحيح ج7 ص107
- وعن ابي عمر رضي الله عنه: « لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا » أخرجه البخاري: الجامع الصحيح ج7ص109 وأخرجه كذلك في الصفحة نفسها عن أبي هريرة ولفظه "لأن يمتلىء جوف رجل قيحا يريه خير من ان يمتلىء شعرا ». وقد حمله غير واحد على الشعر الذى هجى به النبي صلى الله عليه وسلم.
3- سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق ط6-1986 ص11
4-محمد قطب: منهج الفن الاسلامي دار الشروق ط6-1983 ص6 بتصرف
5- د/ نجيب الكيلاني: مدخل الى الادب الاسلامي، كتاب الأمة (سلسلة فصيلة تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر) سنة 1407 هـ ص36 بتصرف.
6- د/عماد الدين خليل: مدخل الى نظرية الأدب الاسلامي، مؤسسة الرسالة ط1 سنة 1987 ص69
7- المرجع السابق ص:80-81 بتصرف
8-د/ عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب الاسلامي - دار المنارة للنشر - جدة / السعودية ط1 -1985 ص:48.
9-د/ عماد الدين خليل: مدخل الى نزريةالادب الاسلامي ص88 بتصرف، مرجع سابق
10- محسن عبد الحميد: أزمة المثقفين تجاه الاسلام ط1 ص7
11- مدخل الى نظرية الادب الاسلامي ص84 بتصرف، مرجع سابق
12- محمد اقبال عروي: جمالية الأدب الاسلامي المكتبة السلفية بالدار البيضاء - المغرب، الطبعة الاولى سنة 1986 ص57-62 بتصرف.
13- المرجع السابق ص:63 بتصرف
14- جان بول سارتر: ما الادب، ترجمة محمج غنيم هلال - مكتبة الانجلو المصرية 1961 ص11
15- سورة الشعراء / 224-227
16- مدخل الى نزرية الادب الاسلامي ص82-83 بتصرف مرجع سابق
17- مجلة الفكر العدد (1) سبتمبر 1994 - المعهد العالي للفكر الاسلامي في موريتانيا ص10-11 بتصرف
18- حكمت صالح: نحو افاق شعر اسلامي معاصر، مؤسسة الرسالة ط2 1982 ص9
19- المرجع السابق ص9
20- لمزيد من المعلومات، أنزر عملنا الالتزام في الشعر الاسلامي الموريتاني، بحث لنيل ديبلوم الدراسات العليا كلية الاداب والعلوم الانسانية - جدة - جامعة محمد الأولالسنة الدراسية 1992/1991، ص:6-13 بتصرف.
21- د/عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب الاسلامي، ص: 82-83 بتصرف م.س.

مكانة المرأة في المجتمع الموريتاني الوسيط

زينب النفزاوية كانت وراء أعظم قائدين مرابطيين

الناني ولد الحسين

ينظر أغلب الدارسين الاجتماعيين اليوم باندهاش ملحوظ الى الحضور البارز في الحياة العامة للمرأة الموريتانية. ولذلك ما يبرره، فالمرأة في المجتمعات المحيطة بنا، وخاصة في الدول الافريقية والعربية، لا تتمتع فيها المرأة بما تتمتع به المرأة الموريتانية. وقد يفهم هذا التحرر من طرف العالم العربي على أنه يعود لعلاقتنا بالمجتمعات الافريقية أو معاطاة للحريات الغربية، وقد يفهمه الأفارقة على أنه مما أخذناه عن العالم العربي. لكن الأمر يتعلق بظاهرة تخص المرأة الموريتانية، ليست ناجمة عن تأثر من هنا أو هناك، بل هي ميزة غير جديدة على المجتمع الموريتاني، فخلال العصر الوسيط، احتلت المرأة في مجتمع الملثمين في الصحراء (موريتانيا) مكانة متميزة قل أن يوجد لها نظير في المجتمعات العربية الاسلامية المماثلة له، حيث كانت تتمتع بحرية كبيرة، وتلعب أدوارا خطيرة على كافة المستويات، من بينها أدوار تعتبر حكرا على الرجل في المجتمعات الاسلامية حيث عاشت المرأة قابعة وراء الجدران، بينما كانت في موريتانيا تشارك الرجل في كثير من الاعمال، ذلك أن طبيعة المجتمع الموريتاني البدوي وقتها القائمة على الترحال وعدم الاستقرار بحثا عن موارد العيش النادرة في صحراء مترامية الاطراف، كانت تتطلب من الجميع مواجهة تلك التحديات والمشاركة في العمل ومصارعة الحياة، فكانت المرأة تتولى القيام بالكثير من المهام كالتخييم ومعظم الاعمال المنزلية، بل تجاوزت ذلك إلى مشاركة الرجل في مهمة رعي الحيوانات التي كانت من بين أكثر الاعمال مشقة، فلقد احتفظ لنا النويري بفقرات من رسالة وجهها عبد الله بن ياسين إلى شيخه وجاج بن زلوي اللمطي يذكر له فيها أن النساء يخرجن مع الرجال لرعي الماشية (1)، وكانت المرأة الموريتانية تتجاوز دور تحريق الرحال أثناء المعارك إلى المساهمة المباشرة في ميدان المعركة وصد الغارات عن الحي أو المدينة واثبتت جدارتها في هذا الميدان بشكل احتفظت لنا به كتب التاريخ (2). ولعل من بين أهم الاسباب التي ساعدت المرأة الموريتانية على المشاركة إلى جانب الرجل بشكل فعال طبيعة المجتمع البدوية القائمة في الغالب على الترحال وما ترتب عن ذلك من قضايا تلائم تلك الوضعية، من بينها على سبيل المثال طبيعة المأوى الذي تم تصميمه بشكل يسمح بنقله

في أي وقت إلى أماكن الانتجاع التي تتغير من وقت لآخر تبعا لتغير وضعية المراعي في المنطقة التي يوجد بها. ففي أي وقت لم تعد المراعي والمياه قادرة على تلبية حاجيات القطعان واصحابها، فإن الانتقال منها الى موضع آخر أطيب كلإ وأعذب ماء يصبح ضرورة ولو تطلب الامر تغيير الموقع كل يومين، وهكذا أدت كثرة التنقل وبساطة المأوى إلى الحيلولة دون عزلة المرأة الموريتانية، فكانت الخيمة هي المكان الذي يأوي إليه الجميع، سواء تعلق الأمر بأفراد الاسرة أو ضيوفهم، وكانت المرأة حاضرة مع الكل في تلك الخيمة التي لم تكن متشكلة من غرف ولا توجد بداخلها حواجز تفصل بعض أجزائها عن الأجزاء الأخرى، مما اكسب المرأة الموريتانية حرية حضور الجلسات المشتركة مع الرجال، بل إنها كانت تستقبل الضيوف وحتى ولو كان ذلك في غياب زوجها وتكرمهم مع محافظتها على شرفها وعفافها (3).

وقد تمكنت المرأة الموريتانية بفضل الدور الذي كانت تلعبه في المجتمع خلال تلك الفترة من أن تحصل على أهم الحقوق التي كان يتمتع بها الرجل وتعتبر حكرا عليه في مجتمعات أخرى، وذلك تقديرا لتحملها لواجباتها وتوليها لأعباء عامة لم تكن تقل أهمية عن تلك التي كان يتولاها الرجال، فكانت المرأة الموريتانية خلال ذلك العصر تشارك في صناعة القرار المتعلق بالامور العامة أثناء حضورها لمجالس القبائل التي كانت مفتوحة أمام المرأة (4). وفضلا عن دورها المباشر، كان للمرأة الموريتانية تاثير كبير على الرجل مهما كان مركزه، وكان ذلك التأثير يتجاوز القضايا الخاصة والاسرية الى القضايا العامة، ولعل خير مثال على ذلك الدور الكبير الذي لعبته زينب النفزاوية في سير احداث الدولة المرابطية من خلال تأثيرها الكبير على الاميرين اللذين تزوجا بها: ابوبكربن عمر ويوسف بن تاشفين الواحد تلو الآخر، واعجب كل واحد منهما برجاحة عقلها واقنعتهما بمشاركتها في الرأي بل إن يوسف بن تاشفين أعاد وصوله إلى السلطة ومعظم الانتصارات التي احرزها الى الراي السديد الذي كانت تمده به، ومن أبرز ذلك معركة الزلاقة في الأندلس وقد وصف بعض كتاب الفترة مكانة زينب عند زوجها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فقال "... امرأة غالية عليه... ولا كان أمر إلا أمرها..."(5) مما بوأها مكانة المرأة التي تكون وراء كل عظيم. ولم يقتصر تأثير المرأة على قادة البلاد فحسب خلال تلك الفترة، وإنما كانت مشاركة المرأة الرجل في الراي والتدبير، بل وهيمنتها احيانا على توجهاته عادة منتشرة بين الملثمين وأصلية في مجتمعهم (6)، ثم أن تلك العادة انتقلت معهم إلى المناطق التي استولوا عليها. ففي المغرب مثلا يشير عبد الواحد المراكشي إلى تلك الظاهرة بين قادة الملثمين في أواخر أيام دولة المرابطين هنالك فيقول :".. واستولى النساء على الاحوال واسندت

إليهن الامور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونه ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير ..."(7)، ويذهب بعض كتاب ذلك العصر إلى أن نفوذ المرأة الصحراوية الموريتانية على امراء المرابطين وصل درجة فيها زوجاتهم تقيل القضاة وتولي منهم من شاءت (8) من دون ان تخشى من إلغاء قراراتها لثقة ولي الامر في قدراتها وحسن تدبيرها. ونضيف الى العوامل السالفة الذكر والتي ذكرنا بأنها وراء هذا الحضور القوي والنفوذ الكبير للمرأة في المجتمع الموريتاني الوسيط، عنصرا آخر يتمثل في أن النظام الامومي كان سائدا بين سكان البلاد خلال ذلك العصر، ولم يتم التخلص منه إلا بعد ترسيخ الاسلام في المجتمع واحلال شرائعه محل العادات والتقاليد المنافية لها، وفي ذلك يقول النويري:"... وكذلك جميع الملثمين ينقادون لأمور نسائهم، ولا يسمون الرجل إلا بأمه، فيقولون ابن فلانة ولا يقولون ابن فلان..." (9)، واستمرت تلك العادة حتى بعد انتشار الاسلام بينهم، وكانت شواهدها جلية في بداية الدولة المرابطية، حيث اتخذ بعض كبار قادتها اسماء أمهاتهم علما لهم، ومن بين الامثلة على ذلك : ابو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين الذي كان يطلق عليه لقب من هذا القبيل احتفظت لنا به المصادر وكان يمثل بالنسبة له اسم الشهرة، وهو"ابن عائشة"، وهنالك الكثيرون كانوا يحملون اسماء شهرة على هذا النحو من كبار قادة المرابطين مثل ابن فاطمة وابن غانية إلخ...

لقد كانت مشاركة المرأة الى جانب الرجل في العمل وفي الرأي والمشورة تشجعها على الابتعاد عن معظم الصفات السلبية التي كانت ملصقة بالمرأة العربية الاسلامية خلال تلك الفترة كالكسل والضعف اللذين كادا يكونان من بين ابرز المواصفات المستحسنة لها والدالة على انوثتها عند بعض المجتمعات، فوصف بعض رحالة القرن الرابع الهجري النساء الصحراويات بالجلد والقوة (10)، على أنهن لم يبتعدن كل البعد عن المعايير العامة التي تحدد مقاييس الجمال لدى المرأة عند معظم المجتمعات العربية، خاصة عادة السمنة التي كن يتغالين فيها، وبصفة خاصة منهن ساكنات المدن، فقد وصف الكاتب الاندلسي ابو عبيد البكري نساء اودغست، فقال عنهن:" ... قال محمد بن يوسف أخبرني أبوبكر بن خلوف الفاسي شيخ من أهل الحج والخير، قال اخبرني ابو رستم النفوسي وكان من تجار أودغست أنه راي منهن امرأة راقدة على جنبها وكذلك يفعلن في أكثر حالهن إشفاقا من الجلوس على أردافهن، ورأى ولدها طفلا يلاعبها فيدخل تحت خصرها وينفذ من الجهة الأخرى من غير ان تتجافى له شيئا لعظم ردفها ولطف خصرها"(11)، ووصف نفس الكاتب نساء البلاد مبينا محاسنهن وفق معايير القرن 5هـ/11م فقال عنهن:"... جوار حسان الوجوه، بيض الألوان منشئات القدود ولا تنكسر لهن نهود لطاف الحضور ضخام الاكشاف (12).

ونتيجة للمكانة السامية التي احتلتها المرأة الموريتانية في المجتمع خلال العصر الوسيط والتي مكنتها من مسايرة الرجل في ولوج معظم الميادين المطروقة آنذاك، فإن حظها من الثروة والثقافة لم يكن قليلا، ولعل اخت ملك اودغست تنيروتان بن اسفيشر خير مثال في هذا المجال، حيث ذكر ابن حوقل الذي ادعى أنه زار المنطقة في منتصف القرن 4هـ/10م أنها كانت تمتلك بمفرها 15000 راس من الابل (13) من دون أن يحدد ممتلكاتها من الحيوانات الاخرى كالبقر والاغنام، ومن الذهب الذي كان كثيرا في المنطقة خلال ذلك العصر، وتجلب مبادلاتها التجارية مع غرب افريقيا على سكانها كميات هامة منه الى اسواقها، أما في المجال الثقافي فعندما كانت المجوسية تسيطر على عقول الملثمين قبل انتشار الاسلام بين قبائلهم، فإن المرأة هنالك كانت وقتها محل تقدير بل وتقديس الكل، نتيجة للعلاقات التي كانت تربطها في نظر الرجال – بالجن عن طريق التمائم والسحر (14). وقد نسج المجتمع حول العلاقة المزعومة بين المرأة والجن أساطير عديدة، كانت تدور حول طبيعة تلك العلاقة وما يمكن ان تجنيه المراة من فوائد من خلالها، ومن بين تلك الاساطير نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الاسطورة المنسوجة لامرأة كان بمقدورها رصد تحركات أي جيش يبعد عن موقع اقامتها مسيرة عدة أيام، وأنها كانت تخبر قومها بتحركات اعدائهم اثناء الحروب فيستعدون لهم قبل أن يصلوهم بعدة أيام، فلم تحصل مباغتتهم ابدا في ايامها (15). وبعد انتشار الاسلام بين الملثمين وقيام دولة المرابطين فيها وشمولها لأجزاء أخرى من أراضي المغرب الاسلامي، تمكنت المرأة الموريتانية من أن تنهل من مصادر الثقافة العربية الاسلامية، بل إن بعض النساء هنالك يتجاوزن مرحلة التعليم الى الابداع؛ ومن بين الامثلة على هذا النوع منهن نذكر السيدة حواء بنت تاشفين زوجة القائد المرابطي المشهور سير بن ابي بكر، التي وصفها ابن عذاري المراكشي بأنها كانت :" أديبة شاعرة جليلة ماهرة... (16). وبصفة عامة فإن الدور الهام الذي تلعبه المرأة الموريتانية خلال تلك الفترة وما نعمت به من حرية وتسامح كان متميزا بالمقارنة مع شقيقاتها في المجتمعات المحاورة التي تقاسم المجتمع الموريتاني الفضاء الحضاري العربي الاسلامي، لذلك صعب على بعض كتاب الفترة الوسيطة ممن زاروا البلاد وقتها تفهم واقعها فدونوا انطباعاتهم حولها، مثلما كتبه ابن بطوطة عن النساء في ولاته وكيف أنهن يحضرن جلسات الرجال بل كن يجالسن قاضي المدينة، وقد ابدى استغرابه لتلك الوضعية عندما تحدث عن سكان ولاته قائلا :".... وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات" (17)، وقد حاول احد اصدقاء ابن بطوطة من سكان ولاته شرح الامر له، عندما استنكر ذلك مرارا فقال له :" مصاحبة النساء

للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لاتهمة فيها، ولسن كنساء بلادكم " (18) لم تكن إذن المرأة الموريتانية خلال العصر الوسيط كسولة ولاخاملة وإنما كانت إلى جانب الرجل تطرق الميادين الحيوية في ذلك العصر.

المصادر والمراجع :

1- أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق د. مصطفى ابو ضيف احمد. دار النشر المغربية، الدار البيضاء : 1985، ص 380.

2- احمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، 8ج، تحقيق احسان عباس (بيروت 1968-1972)، ج8، ص 129.

3-ابن الشرقي حصري احمد: ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش 1986، ص 23.

4- حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة 1957، ص 52.

زكذلك محمد صالح منصور : العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف بالاندلس" يوسف بن تاشفين وملوك الطوائف" منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1995، ص 31.

5- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في ذكر اخبار الاندلس والمغرب 4ج، تحقيق د.احسان عباس، دار الثقافة ط3 بيروت 1984، ج4، ص 30.

6- النويري : نهاية الارب، مصدر سبق ذكره، ص 385.

7- عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق ونشر محمد سعيد العربان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1963، ص260.

8- النويري ، مصدر سبق ذكره، ص 384.

9- نفس المصدر ، ص 385.

10- ابو القاسم بن حوقل النصيبي : صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1979، ص99.

11- ابو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر 1857، ص 159.

12- نفس المصدر ، ص 158.

13- ابن حوقل ، مصدر سبق ذكره ، ص 97.

14- ابن الشرقي حصري احمد: مرجع سبق ذكره، ص 24.

15- Odette du Puigadeau: Les grandes foires des dattes. Adrar mauritanien. Librairie Plon. Paris 1936. P 206.

16- ابن عذارى : مصدر سبق ذكره، ج4، ص 57.

17- ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي (ابن بطوطة) رحلة ابن بطوطة، دار صادر بيروت ، د . ت. ص 677.

18- نفس المصدر ، ص 678.

المرأة الموريتانية
مسيرة ثلاثين سنة
(1960-1990)

محمد فاضل ولد الفطاب باهث

هذا العمل مقتبس من بحث أعددناه لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ المعاصر من كلية الاداب بتونس 9 افريل سنة 1996 تحت إشراف (د. عبد الجليل التميمي).

عرف المجتمع الموريتاني عبر سيرورة تاريخية معقدة جملة من الأحداث، خلقت تركبة اجتماعية نوعية، تجد تفسيرها في خصوصيات التطور التاريخي للمجتمع الذي انقسم الى فئتين زوايا ومحاربين بعنصريه العربي والزنجي (1)

وفرض هذا الانقسام على امرأة كل فئة أن تلعب أدوارا، وأن تكون لها اهتمامات تختلف عن نظيرتها في الفئة الأخرى, مما سمح للمرأة في المجموعة المحاربة أن تظل سمات البحث عن البطولة المنشودة، منعكسة على سلوكياتها، من خلال التعبئة والتحريض والذود عن الشرف. معتبرة شغلها الشاغل هو البحث عن السمعة والشهرة، مفرطة في الكرم بتوزيعها لعائدات زوجها من الحرب ودخله من الضرائب على التابعين (2). ولا تولي التعليم اهتماما بحكم تخصصها، ولا تزاول من العمل غير أنشطة محدودة ذات صبغة أنثوية بحتة في صيغة تعاونيات عرضية عند الحاجة.

هنا تلتقي بنظيرتها – أي المرأة الزاوية– التي احتكرت في المقابل تدريس الناشئة، وأحيانا مستويات أخرى، مما مكنها في ظل هذا الطموح الثقافي من التعلم(3) وإذا ظلت محرومة من حق التنقل للإزدياد من المعرفة، مما شكل العائق الحقيقي وراء محدودية التحصيل عندها.

غير أن بعض النساء حظين باحتضان ذويهن للمؤسسات المعرفية التقليدية (الكتاتيب) فتمكن من النهل من معينها، مما أدى الى بروز نساء عالمات في شتى فنون المعرفة المتداولة محليا(4)

لكن اللاتي لم يحالفهن هذا الحظ ظللن رهينات ثقافة محيطهن، حيث يحظر عليهن العرف الاجتماعي مستندا الى فتاوي الفقهاء أن يخرجن إلا في مناسبات خاصة، متنقبات، يرافقهن محرم أو أحد أتباعهن(5). وهذه خصوصية المرأة العربية. أما الزنجيات فلهن زيهن المتميز على الطريقة الافريقية، و
ويصافحن الرجال، عكس العربيات اللاتي يعتبرن المصافحة فسقا ومروقا على الشرع الاسلامي وعلى المتداول اجتماعيا.

وهذا ما يوحي بأن الرؤية العقائدية الاسلامية خضعت إلى خصائص كل من المجموعتين العربية والزنجية وتلونت بتمثالاتها الثقافية، فأدت إلى اختلاف في فهم وتأويل النص الفقهي، مما انجر عنه تباين قد لا يتسع مع بروز الدولة وعملها على صياغة الخريطة السيسوثقافية، وفقا لإمكانياتها التغييرية.

-II - المرأة في ظل الدولة:

مع نهاية الخمسينيات من القرن الجاري بدأت ارهصات مشاركة المرأة الموريتانية في النشاطات الجمعوية، بدعم من السلطات الفرنسية والأحزاب الوطنية الناشئة. لكن التراث الطويل والجهل المطلق بأي عنصر يحمل

دلالة عصرية قد أباءا هذه الارهاصات بالإنتكاسة العميقة(6) وإن شكلت بداية ستجد حيثيتها الصدى مع الاستقلال ولاسيما على المستوى الرسمي، ويمكن تجلية ذلك كالتالي:

-1على المستوى السياسي: غداة الاستقلال (28 نوفمبر 1960) وجدت الدولة الوليدة حاجتها ماسة لمساهمة المرأة، فبادرت بتأسيس اتحاد نساء انواكشوط في 1961/12/12 برئاسة السيدة مريم بنت حامدينو (7)، وظهرت بعد ذلك الرابطة النسائية بقيادة مريم بنت منيه سنة 1963(1) فشكلتا بذا منظمتين نسويتين غير حكوميتين.

لكنه مع انعقاد مؤتمر الحزب الحاكم في كيهيدي سنة 1964(8) وحل المنظمات، أدمجت المنظمات النسائية -كغيرها- في هياكل الحزب الحاكم، وأصبحت كهيئات حزبية، مما فرض عليها بعض الرتابة، وأفقدها حريتها وحركتها المتواضعة(9). وتم إنشاء مجلس استشاري نسائي سنة 1964(10) ليعوضه المجلس الأعلى للنساء سنة 1966(11)، وعمر هذا الاخير حتى سنة 1977 ليخلفه في اجوان من نفس السنة المجلس الوطني للنساء (12).

ومنذ هذا المجلس الأخير غطت المرأة في سبات عميق نظرا لظروف الجفاف والحرب مع الصحراء الغربية. وقدوم الحكم العسكري الهش الذي عرفت معه المرأة الموريتانية أسوء لحظاتها التاريخية وأزعج تهميش تعرفه.

هذا الوضع الأخير كان رفضه والتشهير به الورقة الأكثر رواجا في أيدي ضباط حركة التصحيح في 1984/12/12 حيث تم بعد 25 يوما من مقدمها أي في 7 جانفي 1985 إنشاء قطاع خاص بالنساء لدى الأمانة الدائمة للجنة العسكرية للخلاص الوطني (13) وأعلنت هذه اللجنة في بيانها الصادر في 10 مارس 1986عن قلقها تجاه حرمان المرأة وما يمكن أن يؤدي إليه من اختلال خطير في بنية المجتمع (14)، فتسارعت وتيرة تعيين النساء في المناصب العليا للدولة كانت فترة حماها سنتي 87-1988 ليعتلين مناصب لم يوفقن إليها من ذي قبل. وكللت هذه الجهود بإنشاء وزارة خاصة بالنساء كانت خاتمة الثمانينات بدايتها.

وبالجملة فإننا يمكن أن نلتمس من هذا النشاط السياسي ثلاثة مراحل رئيسية:

أ- 1960-1978 وهي مرحلة ممارسة النخبة للعمل السياسي، مخفقة في خلق قاعدة نسائية تؤيد طرحها وتدعم انجازاتها.

ب- 1978-1984 فترة التهميش والتجاوز لأي قرار جاد تجاه المرأة.

جـ-1984 وهي مرحلة النشاط المتسارع، المكثف من غير رؤى واضحة مما يجعله ربما معرضا للخطر، وإن أفلح فإنها تكون الإدارة السياسية وحركة التمدرس قد وفقتا في خلق خطاب جريئ ونخبة فاعلة.

2- على المستوى الثقافي: رأينا كيف كانت الكتاتيب تأوي إليها من يملن إليها، لكنها ارتبطت في بداية الستينات بالمدارس العصرية غير المرغوب فيها عند الجنس العربي الذي ضن ببنائه عليها. في حين شجع واقع انعدام لغة مكتوبة عند الزنوج (والزنجيات بشكل أخص) واحتكاكهن ببني جلدتهن في السينغال، ولوج هذه المدارس، التي أقبلت عليها أيضا الطبقات التي كانت تشعر بالغبن الثقافي فوجدت في هذه المدارس الجديدة ضالتها المنشودة لتكسر هيمنة الزوايا على المعرفة، ولتكتسب ثقافة جديدة تسمح لها بتبوؤ مكانة

اجتماعية تعوض الحيف التاريخي. بهذا الاندفاع ظل مؤشر تزايد البنات في المدارس الابتدائية يتصاعد ويتسارع وسنوضح ذلك من الجدول التالي (15)

السنوات	المجموع	الذكور	الاناث	نسبة الاناث المائوية
61/1960	11279	9174	2105	17,9
1966-1965	20407	15591	4816	% 23,6
76-1970	28000	20216	7784	27,8
76-1975	52683	35614	17069	32,4
81-1980	90103	56178	33925	37,6
86-1985	140871	84509	56362	40
90-1989	155116	90687	64429	41,5

نلاحظ من خلال الجدول أنه في العشرية الأولى للاستقلال كانت هناك زيادة تقدر ب 5679 بنتا وبانتهاء فترة السبعينات الصعبة نجد النسبة المائوية تصل الى 37 في المائة سنة 1980 لتصل الى 41,5 في المائة سنة 1990.مما يوحي بالارتفاع المتواصل لعدد الفتيات في التعليم الاساسي غير أن للتعليم الثانوي عوائق دون الإلتحاق به قد لا تفلح الفتاة الموريتانية في تجاوزها بسهولة ولعل النسب والكمية توضح أكثر (16)*

جدول

السنوات	المجموع	الذكور	الاناث	نسبة الاناث المائوية
61/1960	519	505	14	%2.6
71-1970	3489	3107	382	10.9
81-1980	22834	17722	5112	22,3
90-1989	35758	24551	11207	31.4

مقارنة مع التعليم الاساسي نلاحظ أن النسبة المائوية سنة 1970 لم تتجاوز 10,9 في المائة بينما في التعليم الأساسي بلغت 27,8 في المائة ونفس الشيئ نلاحظه تقريبا سنة 1990 حيث لم تتعد نسبة الطالبات في السلك الثانوي 31,4 في المائة بينما وصلت في التعليم الإبتدائي الى 41,5 في المائة ولعل لهذا التقلص عدة عوامل تبرره.

أ- عوائق ثقافية: إن الإلتحاق بالتعليم الثانوي يتزامن مع سن البلوغ الشرعية، حيث تطرح مسألة الإختلاط بين الجنسين، وأمن الفتيات في الطريق، وطول غيبتهن عن البيت وهي مسائل يحظرها المجتمع الفقيه.

ب- عوائق اقتصادية: تتمثل أساسا في محدودية الثانويات لتلك الفترة، وشبه انعدام وسائل النقل الأقل كلفة ومشقة، ومحدودية إمكانية الصرف على البنات.

جـ- عوائق اجتماعية: حيث يعتبر نساء موريتانيا أن البطالة، وعدم الشغل رمزان للعزة والمكانة، وبذا يجدن في الزواج الأكثر بكورا المخلص من جحيم التمدرس الذي لا يجدن له أي قيمة سوى التوظيف بعد اكمال الدراسة. إذن مصدر الدخل شكل هاجسا قويا لدى امرأة الإستقلال الموريتانية.

د- على المستوى الإقتصادي: أول ما نلمح إليه في هذا المجال البون الشاسع بين المرأة العربية وأختها الزنجية. حيث تشارك هذه الأخيرة الرجل في كافة النشاطات اليومية(17) ، بل تتحمل في الغالب الجزء الأكبر.

بينما تعتبر المرأة العربية الشغل امتهانا " لسيادتها" وانتقاما من حقها المقدس في عدم الشغل (18)! " ونلمح ثانية إلى أن النساء التابعات -حسب الهرمية الاجتماعية- لهن أنشطتهن التي تجدن الراحة في ممارستها(19). ولم تعرف هذه التراثية المهنية، المنسجمة مع تراتبية هياكل البنى الاجتماعية أي دعوة

للتغيير قبل الاستقلال سوى محاولات خجولة لم تلق صدى يذكر.

غير أن ميلاد الدولة وإعلانها من الناحية الرسمية – على الأقل – انتهاء عهد المجموعاتية والقبلية، والمساواة بين المواطنين دون تمييز في العرق أو الجنس(20). بعثا الأمل في خلخلة المؤسسات الأهلية. فبرز إطار قانوني لحماية المرأة مراعيا خصوصيتها كامرأة موريتانية (21)، دون أن تكون ذات ولاء تحت أو فوق وطني.

فقامت الدولة بإنشاء المركز الوطني للنسيج الذي لم يكن عدد موظفاته يتجاوز سنة 1960 /13 امرأة فقط، ليصل إلى 1500 موظفة سنة 1978(22). وهي السنة التي اختفى فيها تحت تاثير التعلق شبه المطلق بما يدره القطاع الأول. لقد أدت الطبيعة البدوية للمجتمع الموريتاني إلى التمسك باليات اقتصاده التقليدي فظلت النساء يعتنين بتربية المواشي وتربية الحيوانات بوسائلهن التقليدية، مراعين خصوصياتهن الاجتماعية، مما يوحي ببدائية هذا النشاط، وإن عرف أشكالا من التنظيم أكثر رقيا كالتعاونيات(23)

لكن أزمة الجفاف الحرج في السبعينات (70-1980) كانت بمثابة الهزة التي قوضت مقومات هذا النشاط الفلاحي، تدعمها ظروف الحرب مع الصحراء (75-1982)، وميلاد العملة الوطنية (1973)، وما رافقها من إعادة صياغة مادة وإطار الاقتصاد الوطني، كلها عوامل أفرزت توجها نسائيا جديدا إلى التجارة فمارستها الموريتانيات على شكلين:

أ- التجارة الخفيفة: يتم هذا النوع في البيوت وبين النساء، ونادرا ما يطلع الرجال عليه ويشمل بيع الحجارة الكريمة والحاجيات النسوية الصرفة.

ب- التجارة المكشوفة: لا يستثني هذا النوع من التجارة أي صنف من مواد التبادل الشعبي إلا أن ضعف الرساميل، وطرافة التجربة، وضيق السوق ستظل عوائق أمام الموريتانية تجعلها تفكر في مصدر أخر للدخل.

فاضطرادا مع هذه الاحداث والعوائق اتجهت المرأة الموريتانية إلى القطاع الرسمي دون مؤهل عصري، فظلت نسبتها في القطاع شبه معدومة، حتى النصف الثاني من الثمانينيات حيث يصبح تزايدها في هذا القطاع تقدر نسبته المائوية ب 2,8 سنويا مقابل 0,53 في المائة للرجال (24) ويمكن تفسير هذه الإنتعاشة بحركة التمدرس، والأزمات الوطنية، والعناية السياسية مما كان له أثره على المستوى الاجتماعي.

-4على المستوى الاجتماعي: فرضت ظروف التمدرس، والشغل والبحث المتواصل عن مصدر للدخل اختلاطا وتداخلا وظيفيا بين تخصصات نساء "القمة" ونساء القاعدة، نظرا لتوفر الفرص التي لا تعترف بالمنزلة الاجتماعية، مما وحد تربة العمل بينهن. وأدى إلى احتكاك لم يألفه من قبل، فقدت بموجبه الإمتيازات وأكتسبت به اليات وميكانيزمات عمل جديد. هذا التحول الوظيفي كان له تأثير كبير على المستوى الذهني فاصبحت المرأة تعالج وتطرح مسائل أخرى كالزي الملائم للعمل، وكالدفاع عن حقها في من تربط به حياتها وحياة أبنائها.

أ- الزي: ترتدي المرأة العربية ملحفتها التي تستر – نظريا- كافة جسدها ماعدا الوجه والكفين. بينما ترتدي الزنجية لباسها الإفريقي. ولم تشهد المرأة العربية دعوة إلى السفور من أي طرف. كما لم تشهد الزنجية مطالبة بالتحجب. ولعل ذلك يجد تفسيره في عملية مرتنة (25)

الخطاب الفقهي المالكي فالأحكام الفقهية التي يصدرها الفقهاء تختلف حسب موقع المرأة الاجتماعي. ففي الوقت الذي تطالب فيه نساء "القمة" بالستر والتستر..يرخص - من قبل المعمول به وغير المصرح به نظريا- لنساء القاعدة بأحكام أكثر مرونة وربما يجد ذلك تفسيره في إعطائهن الحرية في الزي، والخروج حسب ظروف عملهن.

وهو تشريع يسمح بالمحافظة على البنية المؤسسية التقليدية.

إلا أن ظروف الجفاف والتمدرس والشغل - كما قلنا - وفضاءات أخرى للإحتكاك قد أدت إلى تحليل - ولو نسبيا- النسيج الإجتماعي، وفك العزلة بين العربيات والزنجيات مما خلق ثقافة افروعربية تجلت بوضوح حين أصبحت النساء العربيات يرتدين ملاحف شفافة لحد الرمزية تحتها اخر موضات الزي الأوروإفريقي. كما أصبح بعض الزنجيات يرتدين الملحفة كاشفات أطرافهن ورؤوسهن كنوع من التعلق برمز هوية الأغلبية الوطنية. التي سيعمل من خلالها النساء العربيات والزنجيات على إثارة القضايا المشتركة بينهن.

ب- الزواج: يندر في مجتمع الاستقلال الموريتاني إستشارة الرجل عند زواجه الأول فكيف بالمرأة .!! فعملية الزواج الأول عادة ما تكون صفقة بين أهالي الزوجين حسب البات المدرسة الإنقسامية كنوع من التضامن العضوي(27). ويتم قهر الرجل على الزوجة الأولى بالوسائل المعنوية والحصار الإقتصادي، بينما تقهر المرأة بالضرب المبرح والإهانة(28). مما قد يدفعها إلى جرائم كان تفاديها الدافع الأساسي لذويها في زواجها القهري، وقد تكون نافرة من هذا الزوج نظرا لتعدد زوجاته فقط.

وهذا ما حدا بالمؤتمرات في مدينة كيهيدي سنة 1964 الى استصدار قرار من الحزب الحاكم يحظر الزواج القهري(29).

إلا أن الظروف الإقتصادية الحرجة، والزواج التعسفي، وكثرة الطلاق المزعج وتعدد الزوجات المفرط، جعلت هجرة النساء عن أوكارهن التقليدية تحت أي غطاء الوسيلة الأنجح للتهرب من الواقع غير المرغوب فيه، وقلصت هذه الهجرة مع الوقت سلطة الأنا الجمعي على المهاجرات، مما سمح بظواهر من الحرية الإجتماعية وحرية الرأي عند المرأة تتجاوز كثيرا المتواضع عليه في مذكرة المجتمع- الفقيه التاريخية.

لكن معنى التحول لم ينسجم في إطار قانوني أو فكري يسمح للمرأة الموريتانية بخلق أجهزة تسهر على حماية حقوقها. ولم يفلح حتى في استصدار مدونة للأحوال الشخصية الهاجس الأغنى الذي يؤرق حواء موريتانيا.

هكذا نلاحظ أن التطورات الحاصلة في وضعية المرأة الموريتانية ظلت رهينة التطور الاولي للمجتمع، ولم تتعد الإجراءات الرسمية رسميتها نظرا للإنفصام الحاصل بين مؤسسات الدولة الوليدة والمؤسسات الأهلية. كما أن النخبة النسائية لم تفلح في صياغة طرح نظري نفاذ وشامل وجريء، كما لم توفق في خلق القاعدة النسائية العريضة التي تشعر بالأمن والأمل المشتركين. فهل سيظل الساسة والمثقفون الوطنيون يستهلكون المرأة وقضاياها حتى يجهضون خطابها مستجيبين للتطور الآلي؟ أم أن هاجس القضية الوطنية، والتنمية الشاملة، والتحولات الحاصلة في المجتمع والمرأة خصوصا، كلها عوامل كفيلة بخلق أطر

ومشاركة نسوية لا ترى أمامها من تحد سوى القرن 21.

الهوامش:

1- الزوايا مصطلح يطلق على الفئات التي تحتكر الثقافة فقط، بينما يطلق مصطلح المحاربين على الفئات التي تحتكر حمل السلاح وإدارة الشؤون السياسية.

2 -المامية بنت احمد سالم: دور المرأة الموريتانية في التنمية الاقتصادية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية، 1993-92، انواكشوط، ص 13.

) Alin Tauzin: Femmes et travail dans la3 société Maure (Mauritanie et Mali)serie conférences n° 13.(C.N.R.S). Paris 1993. P: 13

4- الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص 288.

-5Malindo Small. la femme en Mauritanie. les effets de la sechereche et la migration sur leur statut économique et les implications pour les programmes du developpement. U.S.A.I.D. Nouakchott. octobre 1980. P18.

6- المامية بنت احمد سالم، نفس المرجع ، ص 52

Archives nationales Serie PR. dossier 303. -7 Statut de l'union des feminine. p2.

8- مقابلة مع السيدة فيفي بنت افيجي المديرة الحالية لشركة موريتانيا للنسيج بتاريخ 1996/1/16 انواكشوط.

9- مقابلة مع السيدة مريم بنت حامدينو الرئيسة السابقة لاتحاد النساء الموريتانيات بتاريخ 1996/2/4 انواكشوط

-10 Aichetou Kane . le mouvement national des femmes 14 ans d'exisitance. 5° conférence nationale des cadres féminines. nouakchott 4 au 7 juillet 1978. p 3.

-11I dem.

12- مقابلة مع الوزيرة المكلفة بشؤون المرأة والصناعة والسياحة مجلة ترقية وخدمة اجتماعية العدد 4 يوليو 1989، ص 7.

13- قطاع النساء بالأمانة الدائمة للجنة العسكرية المرأة الموريتانية من خلال خطابات العقيد معاوية ولد سيد احمد الطايع، انواكشوط 89-1990، ص 3.

-14- nistre de l'éduction nationale. direction de la planification scolaire (1960-1990)

de l'éduction nationale. op cit -15

- Melindo Small. Op cit . p 19 -16

17- زينب بنت احمد، المرأة الجاهلية تعود" مجلة مريم ، العدد 8 ، 1977، ص 3.

18- Centre d'études démographiques et scolaires. (femmes et développement en Mauritanie) . direction de la statistique et de la comptabilité. noukchott. 1988. P20.

19- دستور الجمهورية الاسلامية الموريتانية الصادر بتاريخ 31 اوت 1961، المادة 3.

20- الجريدة الرسمية القانون رقم 72146 الصادر بتاريخ جويليه 1972، المادة 9.

-21- Achetou kaneOp. Cit . P 10.

22- هذه تعاونيات عريضة عند الحاجة يجتمع فيها النساء يوما لكل واحدة منهن يساعدنها في النشاط الذي تمارس دون أن يطلبن على ذلك تعويضا.

23- إدارة الاحصاء ، الاحصاء العام للسكان سنة 1977، المجلد II ، انواكشوط 1978، ص 63.

24- مصطلح وطني لاصباغ الاشياء صبغة وطنية (موريتانية).

25-ليليا نجسا لم ارنست كلنير، واخرون : الأنثربولوجيا والتاريخ (حالة المغرب العربي)، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف، دارتو بقال للنشر، الدار البيضاء، 1988، ص 35.

26- مقابلة شفوية مع زينب بنت عبد القادر مسؤولة مركز التوثيق بكتابة الدولة المكلفة بالمرأة بتاريخ

-27- Aichetou Kane: Op Cit ; P10.

الخلفية التاريخية للتواصل الثقافي بين الدولة المرابطية والدولة العباسية

ظلت الدولة الاسلامية عموما مرتبطة بجميع اجزائها سواء بالجوهر أو الاجزاء بها فيها بلاد المغرب الاسلامي غلا أن الفترة الانتقالية التي شهدتها هذه الدولة بسبب سقوط الدولة الاموية في المشرق كان له الاثر البارز في علاقات المغرب مع المشرق خلال النصف الاول من القرن 2هـ8م حيث أدت تلك الفترة الانتقالية إلى فتح المجال امام الطامعين في السلطة من مجموعة كانت ثائرة على دولة الخلافة التي هي مركز الحكم الاسلامي وقوته، إلى جانب الرافضين لشرعية العباسيين، لتحقيق بعض المكاسب في الاطراف بعيدا عن الخلافة الناشئة والتي كان همها الاول في المشرق هو تركيز نفوذها الشيء الذي يجعلها لا تتابع الثورات في الاطراف. وانطلاقا من هذه الوضعية قامت دويلات في المغرب مستقلة من اهمها امارة الفهريين بافريقية التي أسسها عبد الرحمن بن حبيب، وقد تمكن عبد الرحمن بن هشام بن معاوية المعروف بعبد الرحمن الداخلمن تأسيس امارة في الاندلس بعد ان نجح في الوصول إليها متخفيا فبويع سنة 138هـ كما قامت في المغرب امارتان خارجيتان في نفس الفترة احداهما امارة بني مدرار الخارجية الصفرية التي كانت عاصمتها سجلماسه والتي تأسست سنة 140 هـ ةالاخرى امارة الرسميين الخارجية الاباضية التي اتخذت من تاهرت عاصمة لها ابتداء من سنة 161هـ . كما قامت في المنطقة امارات علوية مناهضة للعباسيين من أهمها دولة الادارسة ، والتي أسسها إدريس بن عبد الله في النصف الثاني من القرن 2هـ،8م. ثم الدولة الفاطمية التي قامت في أواخر القرن 3هـ بداية القرن 10م على يد عبيد الله الشيعبي وقد تمكنت من القضاء على الامارتين الخارجتين السالفتب الذكر وحاولت بسط نفوذها على كامل المغرب الاسلامي وبث الدعوة الشيعية فيه والانقضاض على الخلافة العباسية، إلا أنها دخلت في صراع مرير مع الامويين في الاندلس، وانقسم السكان بين الدولتين وانتهى ذلك الصراع بإضعاف القوتين الاسلاميتين، فحولت الدولة الفاطمية مركزها من افريقية الى مصر ، في حين سقطت الدولة الاموية في الاندلس في بداية القرن 5هـ مما أدى إلى ظهور ملوك الطوائف والتجزئة التي جعلت النصارى يطمعون في استرداد البلاد المعروفة ببلاد الأندلس. وبصفة عامة كانت منطقة المغرب الاسلامي تعيش بداية القرن 5 هـ أزمة سياسية عميقة وقد كان قيام دولة المرابطين بها ومحاولتهم توحيدها سباسيا وربطها بالخلافة العباسية في المشرق ردة فعل على تلك الاوضاع التي يمر بها العالم الاسلامي بصفة عامة وغربه بصفة خاصة.

موضوع متواصل

عرض كتاب :

تحقيق الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لمؤلفه أحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي

محمد ولد ماء العينين
دكتوراه السلك الثالث في الادب العربي

من التقاليد اللازمة في عمل كعملنا هذا إنارة الجوانب التي من شأنها أن تحتاج إلى إنارة فيه، لكي تتكشف اسراره وتتضح خباياه، ويستطيع القارئ أن يفسر في يسر وعلى بينة ما يعترض طريقه من قضايا وملابسات قد لا يتأتى استكناهها لغير المتمرسين بكل من مناحي الحياة العام الذي كان يعيش فيه القوم الذين ألف عنهم الكتاب، ومناخ الحياة الذي عاش فيه مؤلفه.

وانطلاقا من هذا وتوخيا للإفادة، فقد صممنا وعملنا في هذا الجانب تصميما يتمثل في تقسيمه إلى ثلاثة فصول في كل منها مباحث كما سنوضحه:

الفصل الأول : عنصر شعراء الكتاب ومؤلفه.

ويحوي اربعة مباحث:

المبحث الأول: عين البيئة والحياة الاجتماعية الشنقيطيتين وقد ركزنا في جانبه الأول على تحديد شنقيط مكانيا، وابراز معالم سطحها ومناخها، وقد تعرضنا فيه للتشابه بينها وبين الجزيرة العربية. كما ركزنا في الجانب الثاني منه على إبراز التقسيم الفئوي للطبقات الاجتماعية الشنقيطية وما يتبع ذلك من تقسيم وظيفي.

المبحث الثاني: عن الحياة السياسية: وقد حاولنا فيه إعطاء معلومات عامة عن النسق شبه السياسي الذي عاش فيه القوم في فترات شعراء الكتاب مركزين على الإمارات الحسانية، وقد تعرضنا فيه إلى فترة دخول الاستعمار والمقاومة التي قامت في وجهه في البلد.

المبحث الثالث: عن الحياة الثقافية: وقد حاولنا فيه إبراز عوامل هذه الثقافة ومكوناتها وخصائصها ثم تلمسنا الأدوار التي مرت بها.

المبحث الرابع: عن الحياة الثقافية في عصر المؤلف وحضورها في إنتاجه. وقد ركزنا فيه على جانبين:

- فترته في بلاد شنقيط قبل سفره إلى المشرق وتأثيرها في توجهه التأليفي.

- فترة وجوده في مصر وتأثره بمظاهر النهضة فيها وطابع ذلك في آثاره.

الفصل الثاني : المؤلف وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عن حياة المؤلف.

وقد حاولنا فيه أن نتتبع ما وصلت إليه أيدينا من مصادر ترجمته، وأن نبين معالم حياته انطلاقا من ذلك ونبين رحلته العلمية وعلاقاته الشخصية.

المبحث الثاني: عن مؤلفاته

أحصيناها فيه ووصفناها وبينا تواريخ طباعتها وأماكنها.

الفصل الثالث : الكتاب:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : عن - أسباب تأليفه- ومنهجه- ومصدر تأليفه- وقيمته.

وقد اعتمدنا في هذا جميعا على منطوق الكتاب ومفهومه محاولين فيه الوقوف عند المسائل الهامة التي تستحق الدراسة.

المبحث الثاني: عن أجيال الشعراء الذين يضمهم الكتاب. وقد حاولنا فيه تصنيفهم إلى أجيال متمايزة لكل منها فترته التاريخية ومميزاته وخصائصه.

المبحث الثالث: عن الأغراض الشعرية التي يحتوي عليها الكتاب. وقد انتهجنا فيه منهجا يقوم أساسا على الإحصاء والوصف وقد سهل علينا ذلك كون الشعر محدودا بمحتوى الكتاب، فتلمسنا خصائص كل منها ومميزاته عند القوم.

تفصيل منهج تحقيق الكتاب

أ- النسخ والمقابلة:

إن هذا الكتاب بكونه معدوم المخطوطات فرض علينا نوعا من التعامل خاصا، ذلك أننا اعتبرنا طبعته الأولى وهي التي أشرف عليها المؤلف : تممها وراجعها، وصوب ما يراه خطأ فيها، أقول: اعتبرنا هذه الطبعة بمثابة نسخة المؤلف فكان جانب المقابلة المهم في عملنا بينها وبين ما اعتمدنا عليه في التحقيق من مصادر ومراجع، ذلك لأن الأخطاء أغلبها وقع في تكوين الكتاب أصلا، فلا يستفاد في تصحيحها من مقابلة طباعته. وهذا مع أننا لم نغفل المقابلة بين هذه الطبعات وإيراد الاختلاف بينها وإثبات الصحيح في المتن سواء في أيها كان. وقد طبع هذا الكتاب أربع طبعات حتى الآن الأولى بتقديم مؤلفه سنة (1329)هـ، والثانية بتقديم السيد فؤاد السيد سنة (1358)هـ، والثالثة سنة 1960، وقد أعيدت بمقدمتي الطبعتين السابقتين. والرباعة بتقديم الدكتور محمد

المختار بن اباه سنة 1987م. وقد أشرنا لكل طبعة بحرف "ذ" مع رقمها.

د كنا نعود في تحقيق ما ورد فيه من شعر كل شاعر إلى ديوانه، إن كان له ديوان مجموع، أو إلى ملفه بقسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي أو إلى موسوعة ابن حامد، أو إلى غيرها مما نعثر عليه في المكتبات الخاصة، فنقابلهما، فنصحح الخطأ أو نتمم الناقص أو نعيد الترتيب أو نعطي لمحة عن الأثر إن كان ورد في الكتاب بعض منه أو ذكره أو نذكر اختلاف ما ورد منه في الكتاب مع ما في هذه المراجع. وقد نلجأ في هذا إلى الرواية إذا لم نجد النص في وثيقة، ووجدنا من يحفظه عن ظهر قلب.

أما الأشعار القليلة التي لم نجد لها مصدرا خارج هذا الكتاب فقد اقتصر عملنا فيها، بعد المقابلة بين الطبعات على شرح ما رأيناه يحتاج إلى شرح وتخريج ما فيها مما يحتاج إلى تخريج وترجمة ما فيها من الأعلام.

ب- *الجمع:*

في الكتاب ظاهرة لا توجد في غيره من الكتب نعني بها ظاهرة "التتمات"، تلك النصوص التي "وردت" على المؤلف كاملة بعد أن طبع الكتاب. فالحقها به دون أن يكون في تراجم أصحابها ما يشعر بها.

وقد رأينا أن نجعلها في مدونات أصحابها حتى لا يظل شمل أشعارهم مشتتا، وحتى لا تتكرر نصوص بلا جدوى، وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: أعيدت فيه القصيدة كاملة في التتمة، وقد ألغينا ما كان من قصائد هذا النوع في المتن بما يرافقها من عبارات لم تعد واردة، مثل " ومنها"، و"وضاع أكثرها من حفظي...." ، إلا الهوامش وأثبتنا محله نسخى التتمة الكاملة.

وثانيها: اقتصرنا في التتمة فيه على ما بقي من القصيدة وفي هذه الحالة ألحقنا آخر القصيدة بأولها مسقطين ما يشير إلى عدم تمامها مثل:" وبقي ثلثها تقريبا" أو بربط التتمة بما مر منها، مثل" وهذا ما بقي من قصيدته.

ثم إنه إذا لم يكن في كلام المؤلف في ديباجته لما في المتن من النص وما في تتمته ما يناسب وضعه الجديد بنينا له ديباجة منهما معا، ولم ندخل في كلام المؤلف ما ليس منه.

وثالثها: مالم يربط بما مر منه في متن الكتاب أو ما لم يرد منه شيء في المتن أصلا، وقد

جعلناه في نهاية شعر صاحبه بديباجة المؤلف بنصه أو بديباجة مبنية من كلامه، ثم أن هناك قصيدة لحرمه بن عبد الجليل وردت في ترجمته ناقصة، ثم وردت في ذيل الكتاب كاملة، فألغينا نسختها الواردة في الترجمة بما فيها من كلمة : ومنها "، وأثبتناها من الذيل كاملة في محلها من المتن.

ج- *الترتيب :*

كان في الكتاب خمسة عشر نصا مختل الترتيب، منها نص لبابه بن أحمد بيبه وستة لمحمد بن محمدي وواحد لامحمد بن الطلبه وواحد لمولود بن احمد الجواد وأربعة لابن الشيخ سيدي وواحد لابن أحمد دام وواحد لابن حنبل؛ وقد أعدنا ترتيبها اعتمادا على دواوين أصحابها المحققة وقد نبهنا على كل حالة من ذلك في محلها.

د- *الشرح والتعليق:*

اعتنى المؤلف بشرح مفردات بعض نصوص الكتاب عناية كبيرة، بينما لم تلق منه بعض النصوص تلك العناية، وقد اجتهدنا في شرح كل كلمة ظهر لنا أنها بحاجة إلى ذلك سواء كان ذلك من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية أو الدلالة الجغرافية أو التاريخية وما إلى ذلك؛ ثم أننا حاولنا أن نعلق على كل مسألة بدا لنا أنها بحاجة إلى تعليق.

هـ- *كتابة الهوامش:* لما كان الكتاب موضوع العمل مطبوعا مؤلفا من متن وهوامش وعملنا عليه يقتضي وضع هوامش أخرى جديدة، فإننا لكي يبقى كل شيء واضحا قد قسمنا الصفحة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: لمتن الكتاب في أعلى الصفحة وإذا كانت خانته فارغة أشرنا إلى ذلك بنقاط.

والثاني : لهوامش الكتاب الأصلية التي هي من باب المتن بالنسبة لنا، في وسط الصفحة، وقد التزمنا الإشارة إلى فراغه إن كان فارغا، دفعا للبس بوضع نقاط متتابعة في محله كسابقه. وقد رتبنا الهوامش التي وضعنا عليه مع هوامشنا على المتن، أي أن هوامشنا على متن الكتاب وهوامشه متسلسلة في كل صفحة.

والثالث: في أسفل الصفحة لهوامشنا نحن، وإذا لم يوجد في صفحة فإننا لم نشر إلى ذلك لانعدام إمكان اللبس.

ولما كان الكتاب ذا هوامش اصلا فإننا احترازا من اللبس تركنا الأرقام لهوامشه الاصلية، واستخدمنا لهوامشنا الحروف حسب الترتيب الأبجدي، إلا رقم الترجمة لكل شاعر

فإننا وضعناه عند بداية ترجمته في متن الكتاب وأعدناه عند بداية ترجمتنا له في الهامش.

و- *الفهارس:*

قد وضعنا للكتاب عشر فهارس لتيسير البحث فيه:

أ- فهرس الآيات الكريمة، وقد رتبناها بحسب ترتيب حروف المعجم.

ب- فهرس الأحاديث الشريفة: وقد رتبناها ترتيبا معجميا بحسب أول كلمات الحديث وروداً في الكتاب سواء كانت هي أول الحديث أصلا أم غير ذلك.

ج- فهرس الأقوال المأثورة على الفقهاء في الكتاب، وقد التزمنا فيها ما التزمناه في فهرس الأحاديث الأنف الذكر.

د- فهرس الأمثال: وقد قسمناها قسمين:

- أمثال عربية قديمة.

- وأمثال محلية. وهذه قسمناها الى قسمين أيضا:

- أمثال فصيحة.
- وأمثال عامية.

وقد التزمنا الترتيب المعجمي داخل كل قسم من هذه الأقسام.

هـ - فهرس القوافي:

أولا : فهرس قوافي المطالع أوائل النصوص الواردة في الكتاب، وقد رتبناها على أساس حرف الروي، ثم على أساس بحور الشعر داخل كل حرف حسب تواترها في الشعر العربي القديم حسب كتاب: موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم أنيس طبعة دار القلم - بيروت. ثم رتبناها داخل كل بحر ترتيبا معجميا بحسب ما قبل الروي؛ مرفوعها أولا ثم منصوبها ثم مجرورها وبعد هذا الروي المتصل بضمير في مثل ترتيبه.

ثانيا : فهرس قوافي الشواهد، ورتبناها الترتيب السابق.

و- فهرس الأعلام.

ز- فهرس القبائل.

ح- فهرس الأماكن.

ط- فهرس المصادر والمراجع.

وكل هذه الفهارس مرتبة حسب الترتيب المعجمي.

ي- فهرس تفصيلي لمحتويات الكتاب.

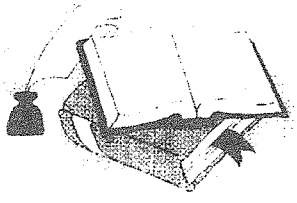

الفكر العربي المعاصر

مواجهة التراث (بقية)

حمود ولد حمادي

بعد استعراضنا لملابسات مواجهة الفكر المعاصر مع التراث، السنا نجد ابن باجه امتدادا للفارابي مع الاختلاف الذي يتعلق بالظروف الاجتماعية والتاريخية؟

وهل نستطيع ببساطة ان نضم ابن طفيل الى المنظومة الرشدية؟ ألا نجد في هذا التقسيم المشرقي المغربي الذي يقول به الاستاذ الجابري نوعا من اللاتاريخية في تحديد وتحليل الظواهر أو نوعا من التعميم التجريدي في تفسير الظواهر؟

بل ألا نجد فيها - لا محاولة للتفسير بالأوضاع الإجتماعية أو اختلاف الظروف التاريخية- بل محاولة للتفسير الايديولوجي للاديولوجية؟

فلسنا مثلا نستطيع أن نفسر الفكر الشرقي - كما يذهب الجابري- بالرغبة في التوحيد الاجتماعي والسلطوي فحسب.

وفضلا عن هذا فمهما كان اختلافنا أو اتفاقنا حول حدود الطابع الغنوصي من فلسفة ابن سيناء فلا نستطيع ان نقبل الحكم عليه بالعرقية الفارسية بل اعتباره المسؤول عن انحطاط الفكر الفلسفي الاسلامي. إن كتابه"القانون" في الطب ليس مجرد كتاب في الطب بل هو جزء من منظومته الفكرية العامة.

قصة من الواقع

بقلم سيد و لد محمد ولد سيد

القط الذي

كنت صغيرا أعيش في البادية مع أسرتي المحافظة التي كانت تفضل العيش في الريف والحياة البدوية على صخب المدينة وعجرفة الحضر، الذي لا مكان فيه لأصحاب النفوس الطيبة الكريمة.

فقد كانت أسرتي من الأسر التقليدية التي تعشق البداوة إلى درجة الهيام، وتكره المدينة إلى درجة الهوس، وكنت أشعر بالفرح كلما قررت الأسرة الخروج إلى البادية حيث أتمتع بمشاهدة المناظر الطبيعية الخلابة، وأتدحرج فوق أعشاب الخريف الخضراء وأخوض في مياه الغدير الصافية.

وعادة ما أطارد هناك بعض الحيوانات الصغيرة كالحشرات والطيور والضفادع، وأقتنص بعضها وأظل ألعب به حتى أسأم من اللعب.

وذات يوم بينما كنت أبحث عن تلك الكائنات في غابة ملتفة بالعشب والنبات إذا بي أعثر على قط صغير في كنف شجرة وهو يرتعد من شدة الجوع، وقلة الأنس، لا أ دري من أين جاء إلى هناك، هل ولدته أمه هنا ثم ذهبت دون أن تقدم إليه أية خدمة؛ أم أن أهلها قد أخذوها رغما عنها دون أن يعلموا أن لها صغيرا تربيه تحت شجرة هناك؟ كل الاحتمالات موجودة، لكن المهم هو أن القط الصغير يبدو بخير وعافية ولا ينقصه سوى وجبة من الطعام تعيد إليه توازن جسمه المنهوك، وتساعد في نمو خلايا جسمه، الذي يعاني من سوء التغذية. نظرت إلى القط الصغير وتفحصت ملامحه عن كثب فإذا به جميل جدا، ففروته حاكلة السواد ما عدى موضع نحره وأطرافه الأمامية وقدر أنملة من ذيله فإنها بيضاء. كل ذلك أثار في نفسي الاعجاب بهذا الحيوان الصغير الغريب، وعندما ركزت النظر في عينيه الصفراوين شعرت أنه يبادلني الود وينظر إلي بعين الصداقة فمددت يدي إليه في حذر، وداعبت فروته قليلا فسمعت مواءه الضعيف ينطلق من أعماقه، فأخذته معي إلى حيث مضارب الأهل، وقدمت له وجبة شهية من ا لتمر، ولكنه رفضها على الفور، فقدمت له أخرى من اللبن الحليب فأقبل عليها بشهية واحتسى منها حتى

ارتوى، ثم أخذ يمرر لسانه على شفتيه، وكأنه يحمد الله على ما رزقه به من طعام من غير حول منه ولا قوة، وبعد ذلك أخذ يتجول في أطراف المكان جيئة وذهابا، لأنه يطلع على أمتعة أهله الجدد، وكانت خطواته الرشيقة موضع انتباه للأسرة بكاملها احتفاء بعذا الضعيف الصغير.

وسرعان ما كبر بفضل العناية المكثفة التي كان يتلقاها من كافة أفراد الأسرة الذين أجمعوا على معاملته بالتي هي أحسن، قبل أن يجمعوا على تسميته بـ"مسعود" تفاؤلا بالسعادة وكنت أنا وإياه نخرج في بعض الأحيان وتنجول خارج المضارب كأننا صديقان لا يفرق بيننا سوى الحاجز الطبيعي الذي يفصل بين الإنسان والحيوان. ولكن كان بالإمكان التغلب نوعا ما على ذلك الحاجز عن طريق الاشارة وأنواع الإيحاءات الأخرى التي عادة ما استخدمها للتفاهم معه لا سيمها في أوقات اللعب أو في مطاردة بعض الحيوانات البرية كالسحالي والطيور وغيرهما.

وكان القط مسعود مثار إعجابي عندما يتمكن من اصطياد بعض تلك الحيوانات ثم يعود بها نحوي وهو يحملها بين فكيه، ويأكلها وهو إلى جانبي، وربما أخذ يلعب بها ردحا من الوقت قبل أن يلتهمها عندما يشعر بالجوع. وكنت أنا وإياه نلعب وحدنا في الأحراش وأخرج له الطرائد من الجحور وأركض معه خلف الطرائد البرية حتى يتمكن من الإمساك بها، وعادة لا نعود إلى مضارب الاهل إلا بعد أن أشعر أنا بالجوع والتعب ويتملأ بطن مسعود من أنواع الحيوانات البرية، عندها نتوجه معا نحو الخيام، هو في غاية الغبطة والسعادة من الشبع، وأنا في غاية الإرهاق والسآمة من الجوع.

وعلى الرغم من الاختلاف الواضح في أوضاعنا فإن ذلك لا يؤثر بحال من الأحوال على علاقة بعضنا مع بعض، فعندما أوثر أنا العودة إلى الخيام فإن زميلي مسعود يعود معي على الفور، ولا يتخلف عني في الشعاب والأشجار، وعندما يرتحل الأهل من ذلك المكان وينتجعون أماكن أخرى آخذ القط "مسعود" وأضعه إلى جانبي على الرحل حتى ننزل في المكان الذي نريد فنخرج أنا وإياه كعادتنا نبحث عن الطرائد.

وذات يوم كنتت أرفع حجرا رأيت تحته شيئا يتحرك، لكي يلحظه زميلي مسعود فينقض

عليه كعادته ويمسك به، ولكن عندما كشفت الحجر إذا بشيء مثل الثعبان الصغير يخرج من تحت الحجر يثبات نادر مادا عنقه بعد أن نفخ فيها قليلا. كأنه فحل إبل فصحت بالقط مسعود، وطلبت منه الإنقضاض عليه وقتله.

ولكن مسعود عندما رآه هابه على غير عادته، فحفزته عليه عدة مرات، ولكنه كان يسير إلى جانبه بحذر شديد كأنه يخافه ولا يجرأ على الاقتراب منه. وكنت أتعجب من ذلك الخوف الذي يقابل به مسعود هذا الحيوان الصغير. ولا أدري ما سبب ذلك الخوف من هذه الأفعى الصغيرة لا سيما وأن مسعود صياد ماهر وكنت أشاهده في بعض الأحيان ينقض بكل جراءة وشجاعة على الأفاعي الأكبر حجما منها ويقتلها في طرفة عين، فلما أعياني عدم تصديه لتلك الأفعى الصغيرة حسبت ذلك نوعا من التكاسل المتعمد من قبله، فأخذت حجرا وضربتها به بشدة حتى ماتت ثم قدمتها إليه لكي يأكلها، ولكنه امتنع من أكلها، فأزددت لذلك عجبا. ولم أفهم السر في ذلك إلا بعد ما كبرت ودرست العلوم الطبيعية وتعرفت على بعض الكائنات والخصائص الحيوانية وعرفت أشكال الأفاعي والثعابين ولا سيما منها الأنواع الخطيرة، فتبين لي مغزى امتناع القط مسعود عن أكل تلك الأفعى، بل ومن عدم مهاجمتها.

فقد كانت تلك الأفعى عبارة عن نوع خطير من الأفعى المسمى ب"الكوبرا" الإفريقية وهي من أكثر الأفاعي خطورة على ظهر الأرض وأشدها سمية إلى درجة أنها عادة لا تلدغ أحدا إلا مات خلال ساعات معدودة، لقد هابها ذلك القط الأسود الشجاع على الرغم من صغر حجمها النسبي، مقارنة مع بعض الأفاعي والحيات الأكبر حجما منها، والأقل خطورة. لقد كان القط أكثر حذقا مني في عالم الحيوان وأفضل معرفة وكنت بالنسبة له أكثر سذاجة وأقل تجربة في هذا العالم الذي يزخر بالاشياء المتناقضة ويمتلئ بالخير والشر معا في وعاء من الطبيعة المتجانسة.

فيا له من قط ذكي يعرف كيف يتصرف ويتجنب المخاطر بغريزة حيوانية متطورة أكثر من الإنسان الذي يعتقد أنه أذكى الكائنات بفطرته.

فهل الغريزة أدرى بخصائص الأشياء من أي مصدر آخر من مصادر المعرفة التي يعتد بها الإنسان؟

الطبيب ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية

بقلم سيدي ولد مناه
جامعة انواكشوط

يعتبر ابن النفيس أحد الأطباء العرب الرواد في مجال الطب وخاصة في ميدان الجراحة، فقد اكتشف في القرن الثالث عشر الميلادي الدورة الدموية الصغرى في الانسان. ولكن الغرب وعلماؤه الذين احتكروا هذا الاكتشاف غيبوا اسمه عن هذا الاكتشاف العلمي ونسبوه الى احد علمائهم وهو وليام هارفي والذي تدل كل الدلائل على أنه أخذ النظرية من الطبيب المسلم ابن النفيس.

ابن النفيس يعد أحد التلاميذ النجباء لابن سيناء وجالينوس وذلك من خلال الشروح الضخمة التي قام بها لمؤلفات هذين الطبيبين " المسلم واليوناني المصري. وقد عرف عنه اعتزازه برأيه واستقلاله الفكري، الشيء الذي دفعه للتحرر من سلطة التقليد للقدماء فقد جاهر الانكار بكل ما لم تدركه حواسه أو يقبله عقله. لكن نصيب هذه الشخصية الطبية العالمية كان الاهمال والنسيان في بطون الكتب مدة ثلاثة قرون من الزمان حتى اكتشفه في مكتبة برلين شاب مصري كان يعد دراسة عنه للدكتوراه في جامعة فريبورغ الالمانية هو الدكتور محي الدين التطاوي. أما موضوع الاكتشاف فكان شرح تشريح القانون لابن النفيس الذي توصل فيه إلى أن ابن النفيس هو

أول مكتشف لنظرية الدورة الدموية الصغرى.

كتاب شرح تشريح القانون: هذا الشرح هو شرح لموضوع التشريح من كتاب ابن سيناء الموسوم بالقانون في الطب، وقد أراد البعض ان يغتصب من الاستاذ المصري التطاوي هذا الاكتشاف لمخطوطة الكتاب فقد كتب "بنت" وهاربين" في سنة 1939 عن ابن النفيس معترفين أنهما استقيا معلوماتهما من مقال "مايرهوف" الذي اعترف بفضل التطاوي إلا أنهما في سنة 1948 ادعيا بأن "لكلير" في كتابه عن الطب العربي لم يذكر ابن النفيس. وهذا عكس الحقيقة وأن لهما الفضل في ترجمة نص شرح تشريح القانون، إذ أنهما طلبا إلى أديب مغربي أن يترجمه لهما، وفي سنة 1956 ادعيا كذلك في مناسبة اخرى أن النص الذي نشره عبد الكريم شحاده في رسالته نقل عنهما مغفلين القول بأن ترجمتهما منقولة عن مايرهوف الذي اعتمد على الاستاذ المصري. إلا أن "افييت" سنة 1956 قارن بين الترجمتين فاستنتج أن ترجمة هذا الأديب المزعوم تكاد تكون نقلت حرفيا من ترجمة " مارهوف" (انظر كتاب ابن النفيس – دراسات في التراث العربي – الكويت – ص 150).

– موضوع الاكتشاف : الدورة الدموية الصغرى

يقول دانيال جكار "لعب تأثير عالم دمشقي في القرن الثالث عشر دورا في إعادة طرح عنصر مهم من الجالينوسية للنقاش، فقد سجلت نقاط مشتركة في وصف الدورة الدموية الرئوية المسماة الدورة الدموية الصغرى، بين شرح ابن النفيس لكتاب

القانون لابن سيناء، والمراقبات التي قام بها في منتصف القرن السادس عشر " ميشل سرفيه واريالدوا كولومبو وجان دو فال فير"، وعلى الرغم من أن هذا التأثير يبدو مؤكدا إلا أن مسار فعله يبقى معروفا بشكل سيء. ومع أنه تأكد أن مخطوطة عربية لمؤلف ابن النفيس كانت ملكا لاحدى العائلات في البندقية حوالي العام 1700، لكن قسما من الترجمة اللاتينية التي وضعها " آندريا ألباكو" توفي 1222م لشرح ابن النفيس في كتاب القانون لابن سيناء والذي نشر في البندقية سنة 1548 لا يتطرق إلى علم التشريح، لذلك يجب أن نفترض إما أن هناك مخطوطات كانت متداولة في ذلك الوقت وهي مفقودة حاليا، وإما أنه حصل نقل شفهي وهذا مرجح أكثر" (أنظر بحث تأثير الطب العربي في الغرب خلال القرون الوسطى – دانيال جاكار من موسوعة تاريخ العلوم العربية الجزء الثالث ، ص 1248)

الكاتب الغربي لم يستطع ان يعترف بفضل الطبيب ابن النفيس على نظرائه الغربيين لأن عقدة الانسان الابيض– التمركز حول الذات– واعتماد نظرية المركز والمحيط تفقده موضوعيته العلمية وتدفعه لنسبة اكتشاف الدورة الدموية "لأربين".

لم يضع ابن سيناء أي مؤلف في التشريح البحت وقد تناول تشريح العظام والعضلات والاعصاب والاوعية في الجمل الخمس الأولى من الفن الأول الكتاب الأول للقانون وهو أحد الكتب التي سميت بالكليات. أما الكتاب الثاني فقد تناول العقاقير المفردة. والكتاب الثالث الامراض من

الراس الى القدمين وعلاجها. وفي هذا الكتاب ناقش ابن سيناء تشريح كل جزء من اجزاء الجسم مع وظائفه وامراضه ولذلك فإن المعلومات التشريحية مبعثرة في شتى اجزاء الكتاب. وقد جمع ابن النفيس الشذرات الخاصة بالتشريح من الكتاب الأول والثالث وعلق عليها في ذلك الكتاب الضخم الذي يقع في اكثر من ثلاثمائة صفحة من مخطوطة برلين ويناهز 530 صفحة في مخطوطات اخرى. والسبب في أن ابن النفيس يعالج التشريح من خلال نصوص سينوية وجالينوسية هو أن التشريح محرم في الشرائع السماوية وقتها لأنه تشويه للجسم وانتهاك لانسانية الانسان. وقد سمحت اوروبا في حدود ضيقة بالتشريح في العصور الحديثة بدء من ألمانيا التي سمحت بتشريح جثة كل سنة، واسبانيا في جامعة لبريدا بتشريح جثة مدة ثلاث سنوات وفرنسا وبريطانيا يسمح للطلاب بتشريح اربع جثث في كل سنة. وأجريت أول عملية تشريحية في باريس سنة 1478-1494 أي بعد وفاة ابن النفيس بمائتي سنة.يقول ابن النفيس في مقدمة شرحه لكتاب التشريح لابن سيناء:" وقد حدنا عن مباشرة التشريح بوازع الشريعة وما في اخلاقنا من الرحمة، فلذلك رأينا ان يعتمد في تعرف صور الاعضاء الباطنة على كلام من تقدمنا من المباشرين لهذا الامر خاصة الفاضل جالينوس" وهو يقول هذا خشية ان يتعرض لسوء لأن التشريح في عصره كان يعد عند رجال الدين انتهاكا لحرمة الانسان فهو يجاهر بانه لم يعتمد على اقوال أسلافه وفي مقدمتهم جالينوس " إلا في أمور ظننا

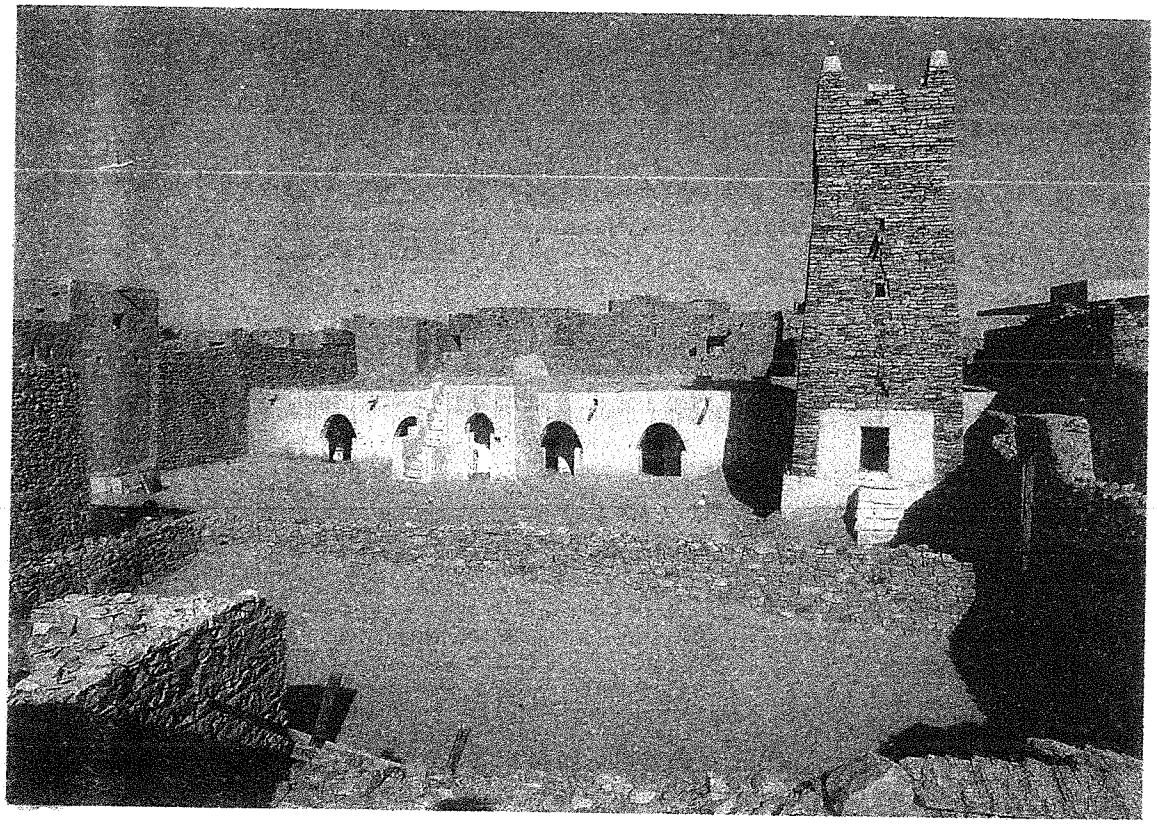

أنها من أغلاط النساخ أو أن اخباره عنها لم يكن بعد تحقق المشاهدة فيها، وأما منافع كل واحد من الاعضاء فإنما نعتمد في تعرفها على ما يقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم ولا علينا وافق ذلك رأي من تقدمنا أو خالفه". وفي غمرة تفنيده لأقوال القدماء كشف الدورة الدموية ونفى نظرية جالينوس في حركة الدم وليس في دورته، وهي النظرية التي اكملها ابن سيناء وعاشت بعده حتى القرن السابع عشر وأكد بطلان هذه النظرية لأن " اتجاه الدم عنده ثابت يمر من التجويف الايمن الى الرئة حيث يخالط الهواء، ومن الرئة عن طريق الشريان الوريدي (الوريد الشرياني) الى التجويف الايسر" وبدت الشرايين عنده منفصلة تماما لأن العدسة المكبرة لم تكن اخترعت بعد ولم تكن الاوعية الدموية قد كشفت ولكن ابن النفيس قد مهد لكشفها الذي تحقق بعده بقرون. ومفاد نظرية ابن النفيس أنه كان يرى " أن الدم يأتي غليظا من الكبد الى التجويف الأيمن حيث يلطف ثم يمري الوريد الشرياني (الشريان الوريدي) وهو وعاء غير نابض يتحرك بحركة الرئة حركة معتدلة هي سبب غلظ جداره، ثم يصل الى الرئة حيث ينقسم الى قسمين : قسم رقيق يصفي من مسام الشريان الرئوي وقسم غليظ يتبقى في الرئة لتغذيتها، أما القسم الرقيق فإنه يختلط بالهواء القادم الى الرئة عن طريق القصبة الهوائية ويدخل الشريان الوريدي (الوريد الرئوي عبر جداره النحيف) – وعلة هذه النحافة أولا ضرورتها لتسمح بمرور الدم الرقيق ثم حركتها. ثم يصل الدم الرقيق المخلوط بالهواء الى

التجويف الايسر حيث تتكون الروح التي تخرج منه الى الاورطة في الشرايين فالانسجة. أما غذاء القلب فيكون عن طريق اوعية خاصة تمر في صميم عضلة القلب " (انظر في تراثنا العربي الاسلامي : توفيق الطويل – عالم المعرفة ص 142).

ويقول احد الباحثين الغربيين في تقييم هذا الاكتشاف:

"يتمثل الاسهام الاول الاكثر اهمية في تحديد الدورة الدموية الصغرى او الرئوية التي وصفها ابن النفيس. وفعلا فقد استعمل البرهنة الاستدلالية ليبين باية طريقة تتم هذه الدورة. مستندا الى ما اثبته جالينوس الذي دعم الرأي القائل بوجوب، وجود مسلك قائم بين بطني القلب، علما أن هذا المسلك لم يكن مرئيا. وانطلاقا من تحليله لهذا الواقع فقد اعتبر ابن النفيس انه من المستطاع ايجاد هذا المسلك القائم بين البطينين، ونتيجة لذلك فقد اعتقد انه لابد لدم البطين الايمن من الوصول الى البطين الايسر بواسطة طرق اخرى. وتحديدا عن طريق الرئتين. وقد اعطى ابن النفيس هذه النتيجة الدالة على بصيرة ثاقبة في شرحه لتشريح كتاب القانون أو الذي لاقاه موجز هذا الكتاب فبقي حدسه المتعلق بوجود الدورة الدموية الرئوية منسيا على وجه التقريب في بطون الكتابات العربية. ويبدو أن كاتبين اثنين فقط كانا قد عرفا هذه النظرية ابان القرن الرابع عشر الميلادي. غير أنه من المحتمل ان تكون هذه النظرية قد أثرت في النظريات التشريحية الاوروبية" (موسوعة تاريخ العلوم العربية – الجزء الثالث إميلي صافاج– اسميث، ص1215.

politique que l'on avait de l'envahisseur était largement dominée, sinon obnubilée, par le sentiment religieux. Le mauritanien avait devant lui non pas un adversaire politique dangereux qui cherchait à conquérir sa terre, mais un adversaire religieux. Les preuves tendant à prouver le caractère religieux de la résistance existent : Sidi Seghir Ould Moulaye Zeïn, auteur du coup de main du 12 mai 1905 : tuer Coppolani consiste à éloigner du pays la menace chrétienne et donc à préserver l'Islam. Nous retrouvons la même détermination chez l'un de ses compagnons, Ahmed Ould Bah Ould Ameïra, qui affirma, à quelques moments de son exécution par une parodie de cour dirigée par le fameux baroudeur, le Capitaine Frèrejean que tout ce qu'il a fait c'est pour gagner le paradis en combattant les chrétiens, comme il est dit dans le Coran. (8)

Le deuxième élément, et qui est d'essence subjective, comme la foi islamique est l'amour de la liberté ou l'esprit d'indépendance. Les mauritaniens ont, depuis des temps immémoriaux, goûté aux joies et aux avantages de l'indépendance. Ayant toujours vécu libres sur les immensités sahariennes et sahéliennes les mauritaniens ne pouvaient s'accommoder facilement d'une servitude chrétienne. Cet amour de la liberté qui est une caractéristique de l'espèce humaine, s'est particulièrement exacerbé pour les locataires des grands espaces. C'est dire l'importance du rôle de ce sentiment comme facteur subjectif dans le rejet du colon. Plus on abhorre la servitude et plus forte est l'action pour l'éviter ou s'en débarrasser. Ce goût de l'indépendance se traduit, au plan de la confrontation, par une plus grande détermination dans les rangs de résistants.

Le bilan psychologique reste donc en faveur des résistants. C'est ce facteur subjectif (amour de la liberté, foi islamique) qui s'est traduit dans la réalité par la conviction de servir une cause éminemment juste, par la bravoure et la détermination dans les combats. C'est par leur engagement moral qu'ils ont transformé leur infériorité matérielle en une supériorité psychologique.

Fidèles à leur parti pris traditionnel en faveur de la colonisation, des auteurs « affirment » et « attestent » avec toute leur énergie, que les « rebelles » ne sont mus que par l'appât du gain. Pour eux, ceux qui ont rejeté la domination coloniale en Mauritanie ne sont rien moins que des pillards invétérés. Faut-il rappeler que l'épithète de « pillards » dont ils affublent les patriotes mauritaniens est à mettre au compte d'une tentative peu glorieuse de vilipender l'action des patriotes.

NOTES

(1) « Pays de Chinghît », ville du Nord-est mauritanien, vieille cité caravanière et centre de rayonnement islamique qui a donné son nom au pays.

(2) Principalement la Qadiriya et la Tijaniyya et leurs subdivisions.

(3) Les habitants de la Mauritanie comprennent de blancs : appelés communément maures, de culture arabe, et des noirs (Hal Pular, Soninké, Wolof).

(4) Puissant émir des Idow'ich du XIXè siècle, mort en résistant en 1905 à Bou Gâdoum, dans l'Assaba.

(5) Emir des Brakna, s'exila au Nord après l'occupation de son émirat en 1904 par Coppolani.

(6) Chef religieux résidant à l'époque à Smâra dans le Sahar Occidental. Principal animateur et idéologue de la Résistance. Mort en 1910 à Tiznit.

(7) La'rouzzi : résistant

Voir G.D Vuillemin : « Contribution à l'histoire de la Mauritanie », (1900-1934), Clairafrique, Dakar, 1962, p. 135.

de quelques groupes d'hommes, ne disposant que d'une technologie et d'une technique militaire des plus sommaires ?
En fait, les stratèges coloniaux avaient dès le départ, sous-estimé les capacités militaires des autochtones. Cette erreur d'appréciation trouve son origine dans la « philosophie pacifiste » de Coppolani. Ce pionnier de la pénétration avait tout fait pour convaincre ses patrons qu'il était possible de conquérir la Mauritanie sans s'investir dans la confrontation militaire. Les premiers contingents français n'avaient pas pour mission de battre à « plate couture » les résistants. Ils avaient un rôle plutôt dissuasif.

Quel est donc cette motivation qui a permis aux patriotes mauritaniens d'empêcher pendant si longtemps l'armée impériale de la IIIè République de déclarer la Mauritanie pacifiée ?

Cette motivation ne peut être, à notre avis que la religion islamique. Celle-ci règne sans partage, depuis les efforts du mouvement almoravide au Xiè siècle, sur l'ensemble du territoire. Sa foi musulmane a été le véritable moteur de la résistance anti-coloniale. Le colon représentait le chrétien auquel le musulman ne peut se résoudre de se soumettre. L'Islam est la dernière religion monothéiste révélée. Elle a fondé sa nouveauté et sa force sur l'intégration mais aussi la critique des dogmes. Tout musulman est donc imbu de sa croyance, pour se placer, en toute circonstance et au plan moral, à un stade supérieur par rapport aux croyants des deux autres religions révélées.
C'est dans cette conviction profonde et solidement ancrée dans la conscience musulmane qu'il faudrait chercher l'une des raisons de l'engagement physique et moral des résistants mauritaniens contre un envahisseur dont les velléités de conquêtes symbolisaient à leurs yeux une déchéance morale. Ces descendants d'Amoravides, qui hier ont conduit les armées de la « Jihâd » en Afrique de l'Ouest, ne pouvaient assurément s'accommoder d'être les «sujets » d'une nation chrétienne.
La religion a donc joué un rôle fondamental dans la Résistance en cette Mauritanie du début du XXè siècle, où la conscience

besoin de son peuple. Cette résistance va d'ailleurs s'aliéner des parties de la population quand elle menait des attaques inconsidérées contre les tribus ou habitants jugés « collaborateurs » ou pactisant avec l'ennemi.
Les conflits tribaux, sociaux, personnels n'ont pas manqué eux aussi, d'interférer dans la trame, politico-socio-militaire. Des tribus se sont ralliées à l'envahisseur parce que leurs « adversaires » traditionnels ont rejoint la résistance et inversement.
Le schéma traditionnel accrédité par les historiens et administrateurs coloniaux est à prendre avec beaucoup de précautions. Selon ce schéma les tribus « guerrières » ont résisté alors que les « zwâya » (marabouts) étaient favorables au camp des envahisseurs. Il est vrai que les « zwâya » avaient intérêt à secouer la suprématie sociale des « Arab » (guerriers). Mais de là à classer mécaniquement les uns dans le camp des « amis » et les autres dans celui des « ennemis » est quelque peu simpliste et ne correspond pas à la réalité historique. Le passage de l'une à l'autre des deux grandes catégories était plus fonction de divers intérêts socio-économiques, politiques, religieux, etc., que par celui de la position sociale pré-coloniale.

TENTATIVES DES REPONSES A QUELQUES QUESTIONS

Les historiens coloniaux ont, certes, évoqué la religion musulmane comme l'une des motivations qui ont amené les mauritaniens à prendre les armes contre l'invasion. Certains ont cependant présenté cet Islam comme un élément psychologique négatif, faisant perdre à l'homme sa raison. Selon eux l'Islam ne pouvait conduire qu'au fanatisme, à l'anarchisme et à la démesure. C'est ainsi qu'a été évoqué l'acte d'héroïsme accompli par Sidi Ould Moulaye et ses pairs un certain 12 mai 1905.

La première interrogation peut être formulée ainsi : l'armée coloniale était toute puissante, les résistants étaient désunis, désorganisés, mal armés et peu préparés à soutenir une guerre de cette envergure. Pourquoi dans ces conditions la conquête coloniale a dû se poursuivre pendant trois décennies ? Autrement dit : pourquoi une armée n'a-t-elle pu avoir raison

ENTRAINEMENT MILITAIRE SOMMAIRE

Les résistants ne possédaient pas d'armée de métier. La plupart d'entre eux sont des volontaires n'ayant pas les compétences et l'entraînement nécessaires pour mener une guerre moderne, même si parmi eux les membres des tribus guerrières étaient plus ou moins entraînés au métier des armes. Entraînement des plus sommaires, peut-on dire, car il se limitait au maniement du sabre, du poignard et du vieux fusil de traite, toutes armes qui valent peu à côté des armes modernes et meurtrières qui sont en possession de l'envahisseur.

En somme, les résistants ont appris le combat en combattant, dans le feu de l'action. Naturellement, cette inexpérience est tout à fait profitable au Colon qui n'a rencontré, au début de sa pénétration, que des groupes de novices, faiblement armés.

RESISTANTS ET COLLABORATEURS

Le peuple mauritanien a prodigué à ses fils combattant l'envahisseur, un appui multiforme, qui peut être considéré comme l'un des points forts des résistants. Cet appui s'exprimait par la fourniture de la logistique de combat, du ravitaillement alimentaire, de l'armement, de renseignements sur la position, les intentions et les potentialités de l'ennemi, etc. Etant donné la participation exclusive du sexe masculin aux actions du combat direct, on peut dire que le soutien populaire dans les bases arrières fut pour l'essentiel le fait des femmes. Ces dernières furent des agitatrices, des propagandistes et des activistes anti-coloniales hors-pair, mobilisant les hommes contre l'invasion, organisant la logistique des arrières, collectant et transmettant les informations aux combattants.

Ce soutien populaire avait cependant son revers. La dispersion du pouvoir politique évoquée plus haut et l'habileté relative des méthodes de division du colon étaient telles que l'unanimité ne put jamais se faire contre l'invasion au sein de toutes les composantes de la population. Le caractère très mouvant des alliances fut surtout préjudiciable à la Résistance qui avait le plus

souvent presque immédiats : hésitations, changements de direction, qui poursuivre ? Des moments précieux sont ainsi perdus dont les poursuivants profitent pour creuser l'écart, se mettre à couvert et échapper ainsi aux représailles adverses. Par ailleurs, de poursuivis les résistants deviennent des poursuivants et adoptent, une fois l'ennemi dispersé, des attitudes offensives et lui tendent des embuscades souvent meurtrières. Ce sera souvent le cas durant la période 1908-1913, en particulier durant les combats autour de Tichitt au début de 1912.

D'autres procédés tactiques étroitement liés à ceux que nous venons d'examiner ont été utilisés avec succès. Il s'agit du procédé de la diversion, qui consiste à fixer l'attention de l'ennemi sur un point et dans un endroit précis pendant qu'une opération plus importante se déroulait ailleurs, pour permettre à des groupes armés de passer sans encombre à travers les mailles du filet (entendons les postes et les patrouilles de surveillance mises en place par l'ennemi).

La Résistance a utilisé aussi le procédé qui consiste à s'attaquer aux points les plus faibles de l'ennemi : attaques répétées du poste d'Akjoujt en 1908 qui obligent l'envahisseur à l'évacuer. La Résistance a été aidée, il est vrai, par la mauvaise situation sanitaire du contingent, l'isolement du poste et les difficultés d'approvisionnement en eau.

Qualifié le plus souvent de procédé « lâche » par le colon, il ne s'agit que d'un procédé classique de la guérilla. A moins d'être suicidaire, aucune armée au monde ne s'attaque à son adversaire à ses points les plus forts. On cherche d'abord à entamer son ennemi à son point le plus vulnérable, à son « talon d'Achille ». Les accusations coloniales sont à mettre au crédit de la guerre psychologique, de la provocation. Il s'agit de donner un coup de fouet à l'orgueil de l'adversaire afin de l'amener sur le terrain de la confrontation directe. Nul doute que si les résistants avaient accepté de jouer ce jeu, ils auraient été très rapidement anéantis.

combattants pour celle de petits groupes fondant leur action sur les attaques surprises et le harcèlement. C'est cette ligne militaire qui leur permit d'enregistrer d'importantes victoires et de préserver leurs forces vives. C'est ainsi que les G.N fondés en 1906 ont été anéantis (Al Moïnane – 1908).

Auparavant les résistants engageaient le combat pour ainsi dire à l'aveuglette sans évaluation préalable des moyens de combat de l'ennemi et de leurs chances objectives de remporter la victoire. Les objectifs ennemis sont observés, évalués avant le lancement de toute attaque. Une fois la troupe adverse évaluée on décide ou non de mener une attaque surprise (de nuit de préférence et tardivement) ou de mener d'abord des attaques de diversion ou de harcèlernent pour tester les réactions de l'adversaire avant de décrocher, de différer l'attaque ou de décider de la mener sur l'heure. Les procédés de la concentration de forces numériquement supérieures et de la dispersion sont alternés selon le volume des forces ennemies, leur force de feu et la nature du terrain et les étapes de la confrontation. Souvent les résistants s'en prennent d'abord à la « zériba » (enclos de bétail) où étaient gardées les montures des troupes coloniales, dans un but évident de priver ces dernières de moyens de déplacement.

POURSUIVANTS ET POURSUIVIS

Pour revenir à la tactique de la dispersion et de la concentration alternées des forces, signalons qu'elle a été merveilleusement appliquée à partir de 1910. Une fois terminée l'attaque (ou le harcèlement) de l'ennemi, il faut penser à la retraite comme moyen de préservation de ses forces, car l'envahisseur va, de plus en plus, développer ses moyens de poursuite, d'interception, de contrôle et de surveillance des groupes armés résistants. Une fois la poursuite devenue inéluctable ou effectivement engagée, les résistants se retirent en se dispersant.

Le groupe se scinde en sous-groupes de 2 à 3 combattants et qui vont dans différentes directions. Les résultats sur les poursuites de l'ennemi sont

assurés de la victoire. Cette attitude erronée a eu son prix en vies humaines. Elle avait sa source dans la mauvaise appréciation de la nature de l'ennemi et des armes dont il dispose. L'un des points forts de ce dernier est justement la qualité de son armement, de ses troupes et de leur encadrement (officiers de métier).

C'est d'ailleurs cette erreur stratégique (emporter une décision rapide, alors qu'il fallait au contraire adopter celle d'une guerre de longue durée) qui aura des conséquences dans le domaine tactique, notamment dans la manière de conduire les combats. Les sièges de Tijegja évoqués ci-dessus en sont des exemples. La guerre de position (où les deux belligérants s'observent) mise en pratique par la résistance (plus de 20 jours de siège) ne correspondait ni aux conditions générales de cette guerre, ni aux potentialités dont disposait localement l'envahisseur. Ce dernier possédait des mitrailleuses, des fusils à tir rapide, d'importantes quantités de munitions et des colonnes de ravitaillement étaient en route pour le camp retranché fondé par Coppolani, faisant peser une menace sérieuse d'anéantissement sur les assaillants qui ont dû opérer, parfois, des retraites désordonnées.

REAJUSTEMENTS

Si l'armée coloniale s'est adaptée peu à peu aux méthodes de guerre et aux conditions naturelles dans le pays, à son tour, la Résistance a remis en cause ses pratiques guerrières du début de la confrontation. L'échec est la mère du succès. Les défaites subies ça et là ont amené la Résistance à réviser complètement sa stratégie et sa tactique. La nécessité de préserver ses propres forces et moyens de guerre, face à un ennemi matériellement et organisationnellement supérieur, l'a obligé à utiliser de nouveaux procédés de combat : la diversion, l'embuscade, la dispersion ou la concentration, le décrochage, le harcèlement, etc.
C'est à partir de 1907-1908 que la Résistance commence à opérer des réajustements. Elle abandonne progressivement la pratique des combats directs avec de fortes concentrations de

erreur d'appréciation qui a hypothéqué dès le départ tout succès de la guerre de libération. Plusieurs années seront nécessaires pour que l'expérience de la guerre fasse comprendre aux résistants qu'il était hors de question de venir à bout de l'envahisseur en l'espace de quelques mois.
Les preuves de cette erreur de stratégie résident dans le choix tactique des premières années de la confrontation : lourdeur des colonnes et leur importance numérique. Les chefs de guerre à l'époque étaient persuadés qu'il fallait jeter toutes ses forces dans les batailles, d'où l'engagement de ghazzis de plusieurs centaines de combattants, pour les remporter rapidement. Parfois même ce fut des campements entiers qui se déplaçaient vers les zones de combat. C'est ainsi que la mission Tagant-Adrar conduite en 1905 par Coppolani dut soutenir des combats incessants, menés contre elle par Bakkar et ses alliés, au Brakna, au Gorgol, en Assaba et au Tagant. Les résistants, qui traînaient derrière eux femmes, enfants, troupeaux et bagages, eurent du mal à échapper aux raids et bombardements punitifs des sbires de Coppolani. Ce fut notamment le cas du combat de Goumâl en février 1904.

Quand la mission Tagant-Adrar se fut installée à Tidjigja et après que Coppolani fut tué (12 mai 1905), elle sera l'objet de plusieurs harcèlements par de fortes concentrations de résistants (juin 1905 et novembre 1906).

ATTITUDE ERRONEE

Le Commandant Gillier, historiographe des opérations militaires menées par l'envahisseur a affirmé (« La pénétration en Maurirtanie » Geuthner, Paris, 1926, p.141) que les assiégeants étaient au nombre de 3.000 (!) grâce à des renforts fournis par les populations du Tagant, renforts attirés par le succès de Niemlâne (octobre 1906)».

Si ce nombre reste invraisemblable il suggère quand même la relative importance du nombre des groupes nationaux à ce moment et tend à confirmer la conviction qu'ont les résistants qu'en concentrant plus de forces que l'adversaire ils étaient

guerre. Les combats de Niemlane, d'El Bedr, de Ouad Tagliatt, de Hamdoune (9), etc. ne sont que quelques unes des embuscades que le terrain montagneux a permis aux résistants de tendre à l'armée d'occupation. Mais l'essentiel du territoire ne se prête guère, nous venons de le dire, aux attaques surprises. Pour pallier l'absence de moyens de camouflage naturel, les résistants doivent souvent effectuer de longs détours, éprouvants pour les hommes, les bêtes et les provisions. C'est ainsi que des attaques menées de l'Adrar contre le Tagant et le Trarza ont dû emprunter des routes plus à l'Ouest ou plus à l'Est pour parvenir à leurs objectifs.

Les conséquences sur le plan tactique est une perte de temps préjudiciable à la rapidité des opérations qui est l'essence même de la guérilla, principale forme de guerre de Résistance. Ces détours obligent à faire des dizaines, voire des centaines de kilomètres supplémentaires. Ce sont plus d'efforts à déployer pour les hommes et les bêtes, plus de ravitaillement à emporter. La troupe est par conséquent plus lourde, moins rapide et les risques de détection d'interception par les services de renseignement de l'ennemi s'en trouvent augmentés.

GUERRE COURTE OU GUERRE DE LONGUE DUREE

Au plan stratégique, la Résistance a commis la même erreur que l'envahisseur. Les résistants de la première heure escomptaient bien bouter dehors le colon à l'issue de quelques combats menés énergiquement. Ils ne semblaient pas mesurer l'ampleur et le sens de l'entreprise coloniale. Ils la considéraient comme un événement passager, ayant le même caractère éphémère que les raids représailles menés par Faidherbe au Trarza et au Brakna en 1855 et 1856. En conséquence ils n'adoptèrent pas de stratégie et de tactiques appropriées et continuèrent à s'épuiser en confrontations souvent meurtrières contre un adversaire supérieur en armement et en organisation. Chercher à obtenir une décision rapide à cette guerre pour laquelle une stratégie de longue durée était plus adaptée, constituait une grave

dans une phase offensive. Les tribus, les chefferies, les confréries ont réagi, chacun à sa manière à l'invasion. Mis à part Bakkar et Melaïnine, aucun autre chef n'a invité les siens à prendre les armes avant que l'envahisseur n'acquière des positions, ne s'implante solidement et ne constitue une menace directe pour leur propre indépendance.

Les difficultés de déplacement évoqués à la décharge de l'envahisseur valent dans une certaine mesure pour l'envahi mais ce dernier dispose, quand même, de certains avantages. C'est d'abord une meilleure connaissance du terrain. C'est ensuite une expérience millénaire de l'élevage et de l'utilisation du chameau, principal moyen de transport au Sahara.

Naturellement les conditions de la guerre imposée par l'envahisseur ne correspondent pas à celle à laquelle les résistants sont habitués. L'exploitation par ces derniers des avantages cités plus haut deviendra, d'ailleurs, de plus en plus difficile, à mesure que la zone des opérations se déplace vers le Nord et que l'adversaire comble, petit à petit son retard. C'est ainsi qu'en avril 1932, un groupe de résistants dit « Ghazzi La'roussi » (7) qui avait attaqué le G.N du Hodh à Tiguiguilt, à près de mille kilomètres de ses base et après avoir traversé une partie du territoire réputée être un désert absolu, fut presque entièrement décimé. Ici l'avantage de la connaissance du terrain n'a pas joué car une partie des résistants sont morts de soif. (8)

CAMOUFLAGE DIFFICILE

Une autre condition naturelle a fortement désavantagé la Résistance. C'est celle de la nature désertique du territoire. Pour une armée inférieure au plan de l'armement, les tactiques du camouflage (pour préserver ses forces) et de l'embuscade (pour détruire celles de l'ennemi) restent très importante. L'absence d'abris naturels (forêts, hautes herbes, hautes montagnes, etc.) s'opposent à l'application, sur une grande échelle, de tels procédés de guerre. Seuls l'Assaba, le Tagant et l'Adrar, en raison de l'existence, sur une partie de leurs terres, de plateaux montagneux, certes modestes, se prêtent quelque peu à ce type de

l'impréparation de ses troupes obligent Ahmedou II à s'exiler dans le Nord du pays. Ainsi va échouer cette première tentative de faire de la Résistance autre chose que l'expression de particularismes locaux.

La deuxième tentative d'importance pour surmonter la dispersion politique de la Résistance sera le fait de Cheikh Melaïnine (6). Dès l'entrée de Coppolani dans le Sud du pays le chef religieux déploya de gros efforts pour convaincre d'autres chefs politiques ou religieux du pays, non seulement de prendre les armes pour bouter dehors l'envahisseur mais d'accepter la mise sur pied d'une espèce de coordination politico-militaire dans le camp du refus. Melaïnine dépêchera dans ce but de nombreux émissaires et plusieurs lettres en direction des personnalités influentes du Centre et du Sud. Le capitaine Frèrejean, proche collaborateur de Coppolani trouvera dans les effets de l'émir des Idawiche, le 10 avril 1905, après le combat de Bou Gadoum (où Bakkar Ould Soueïd Ahmed devait trouver la mort) des lettres provenant de Cheikh Melaïnine. Si ces efforts ont eu des résultats positifs pour la Résistance dans le Nord du pays, il n'en fut pas de même pour le Centre et le Sud trop éloignés des bastions et bases arrières des nationalistes situés au Nord. Par ailleurs les grandes distances, le caractère désertique du pays, l'absence de pouvoir centralisé ayant un système de communications rapides, ont constitué autant de handicaps pour l'unification de l'action anti-coloniale.

UN TERRITOIRE IMMENSE

Si l'étude du territoire a constitué au départ un gros handicap pour l'armée coloniale, il en fut de même pour le camp nationaliste. Dispersé politiquement, il tenta vainement d'unifier son action et sa stratégie. Les difficultés de communication (évoquées plus haut) vont constituer un obstacle sérieux à ces efforts. En l'absence d'un état-major commun, centralisant les actions politiques et armées, on a assisté à des empoignades isolées avec l'envahisseur. Cette absence de coordination s'est surtout fait sentir pendant les premières années de l'invasion où l'armée coloniale était théoriquement

Le Sud du pays, domaine des ethnies noires, a été neutralisé, dès la fin du XIXè siècle, militairement et politiquement.

L'installation progressive de garnisons coloniales, véritables réserves en hommes et en logistique, a permis à l'administration coloniale de disposer d'une base arrière, éloignée souvent du champ des opérations, il est vrai, mais en revanche très sûre. C'est cette base arrière qui assurera, en l'absence de ports sur l'Atlantique, le ravitaillement des troupes et maintiendra des liens efficaces et continus avec la colonie du Sénégal. L'envahisseur veillera à créer ou à approfondir les divisions entre mauritaniens blancs et mauritaniens noirs (3). Certains habitants de la vallée que des rapports de vassalité liaient à des groupes ou chefferies blancs voient dans la pénétration une véritable aubaine pour jeter au loin le joug de la sujétion, oubliant qu'ils entraient par ce biais dans une nouvelle dépendance. Dresser les mauritaniens les uns contre les autres fut le tour de force que l'envahisseur réussit à réaliser. Ceux qui ont collaboré à son action croyaient combattre pour leur émancipation. En fait ils contribuèrent à asservir leurs compatriotes pour se retrouver eux-mêmes, au bout du compte, dans une situation similaire.

L'EXPRESSION DE PARTICULARISMES LOCAUX

A cela il faut ajouter l'absence de conscience nationale au niveau de la presque totalité des chefferies qui ont choisi la non collaboration. En fait, ces chefferies défendaient chacune son territoire particulier et des privilèges socio-économiques. Des tentatives de coordination ont bien eu lieu mais elles ne concernèrent, à chaque fois, que des régions très limitées du territoire. Citons, dans ce cadre, les efforts de Bakkar Ould Soueïd Ahmed (4) de mobiliser les habitants du Brakna, du Gorgol et de l'Assaba, face à l'avancée de Coppolani en 1904 et 1905. Ahmedou Ould Sid'Ely (dit Ahmedou II (5) du Brakna semble être l'un de ceux qui ont répondu positivement aux appels à l'unité dans la « jihâd ». Les succès remportés par les forces d'invasion dans le Brakna et

secteur, d 'empêcher les résistants d'y perpétuer des « coups de main » et, éventuellement de l'y poursuivre et de l'y intercepter.

Les importants efforts déployés par l'occupant pour reprendre l'initiative ne seront cependant pas payants. L'entretien du moyen de transport, le chameau, reste lié à des zones de parcours bien déterminées. L'existence de pâturages abondants, de points d'eau à débit suffisant, oblige le G.N à rester dans un territoire limité. Son rayon d'action est par conséquent peu important : il en fut ainsi pour les G.N d'Atar et de Chinguitti. Pour faire des patrouilles ou engager des poursuites dans le Tiris Zemmour, l'envahisseur eut toujours recours à des colonnes spécialement préparées pour ces régions très éloignées de leurs lignes. La lourdeur de ces colonnes (plusieurs dizaines ou centaines d'hommes, d'animaux, des tonnes de matériel...) a considérablement réduit leur efficacité, de sorte qu'on peut dire que ces colonnes (Berger à Tichitt en 1912, Mouret en 1913 dans le Tiris Zemmour, par exemple) ont eu surtout un rôle dissuasif. Il a fallu attendre le début des années 30 et l'introduction de l'avion et de l'automobile pour voir l'armée coloniale se libérer peu à peu des contraintes imposées par l'élevage chamelier.

UN ENSEMBLE DISPARATE

Au plan politique la Résistance en Mauritanie souffrait de faiblesses majeures qui ont fortement compromis sa noble mission de défense de la liberté humaine.
Au premier chef de ces faiblesses il faudrait citer l'absence d'une direction politique unique ;

Qu'était la Mauritanie (plus exactement Bilâd Chinghît) (1) au moment de la pénétration militaire ? Un ensemble politique très disparate, comprenant plusieurs émirats relativement indépendants les uns des autres, une multitude de chefferies locales, plusieurs obédiences religieuses (2), des ethnies différentes même si l'Islam leur est commun...Les interférences de tous ces particularismes se traduisent, au plan politique, par plus de divergences.

AXES DE REFLEXION POUR UN BILAN DE LA CONFRONTATION ENTER MAURITANIENS ET COLONISATEURS FRANÇAIS (XIXè début Xxè siècle). (Suite et fin)

Pourquoi les mauritaniens ont-ils continué à harceler les troupes d'occupation pendant une trentaine d'années ?

Pourquoi la formidable machine de guerre coloniale a-t-elie souffert avant d'avoir raison de quelques groupes de combattants désunis et détenteurs d'un armement des plus sommaires ? A ces questions et à bien d'autres nous proposons, non pas des réponses définitives, mais quelques axes de réflexion, qui nous l'espérons, contribueront à poser correctement la problématique.

POSITION DE DEFENSIVE

Il semble très probable qu'il faille chercher l'explication de la longue durée de la conquête militaire en Mauritanie par le contingent français dans le caractère défensif du dispositif colonial, caractère qui a prédominé de 1905 à 1930.

Nous avons évoqué plus haut la nécessité pour l'occupant de contrôler tout le territoire afin d'empêcher les résistants de s'y déplacer librement. A cet effet il est contraint de créer de multiples postes et garnisons, dispersant ainsi ses forces en une multitude de petites unités plus ou moins, éloignées les uns des autres. Ces unités étaient beaucoup plus préoccupées de leur propre sécurité, de leur propre survie que d'opérations à l'extérieur de leurs murs. « Se défendre, se préserver, exister », tels étaient les soucis essentiels des garnisons fixes.

Ayant compris tout le danger d'une telle position, l'envahisseur avait créée en 1906 les fameux G.N (Groupements nomades), espèces de garnisons mobiles montées à chameaux et ayant une zone de surveillance limitée (G.N du Tagant, G.N du Trarza, G.N de l'Inchiri, de Tichitt, de l'Adrar). Destinés à contrebalancer l'attitude statique des forteresses et garnisons fixes, les G.N ont théoriquement pour rôle de patrouiller dans leur

On peut citer par exemple: listage pour listing, bouteur pour bulldozer, jardinerie pour garden-center, affacturage pour factoring, crédit-bail pour leasing. D'autres mots récents fels Mercatique pour marketing voyagiste pour tour-opérator, stylique pour design.
L'autre défi est sans conteste celui de la mondialisation. Comme en témoigne Jean François de Raymond: "La "mondialisation" touche l'organisation des hommes et des sociétés sur la planète où tout vient en interaction, suivant une nécessité irrévocable. Elle concerne directement la francophonie dont elle menace la langue et la culture. Pourtant, notre communauté, qui a atteint sa majorité a aujourd'hui les moyens de saisir l'occasion offerte par ce décloisonnement général pour faire valoir sa spécificité.
(...) Refuser la mondialisation serait nier le réel. Un repli conduirait à l'isolement, celui qui userait ses énergies à s'y cantonner. Toutefois, constater le fait de la mondialisation n'oblige ni à accepter toutes ses conséquences comme une fatalité en renonçant à l'action ni à négliger l'occasion unique qu'elle offre ".

Conclusion

Il ressort de ce qui précède que la communauté francophone a de précieux atouts qu'elle doit utiliser avec discernement. Elle constitue un marché potentiel de centaines de millions de consommateurs avec une mosaïque de peuples, de langues et de cultures divers.
Au nom d'une langue en partage, les pays francophones doivent être, solidaires les uns vis - à vis des autres et œuvrer pour l'avènement de la démocratie et les droits de l'Homme au sein de la francophonie. Comme le dit le Secrétaire Général de la Francophonie: "Le message de la Francophonie est universel. C'est un message de solidarité et de paix, mais aussi de tolérance. Car à travers la défense de la langue française, c'est la survie de toutes les autres cultures et de toutes les autres langues que nous voulons défendre. La Francophone, c'est le refus d'une langue unique, d'une culture unique, d'une pensée unique".
Et pour conclure je fais miennes ces idées émises par les haut-conseillers:

" La Francophonie doit se remettre en question et se montrer plus ouverte, plus moderne, plus pratique, plus partageuse".

MOHAMED VALL OULD CHEIKH

du français, sont rejetées dans une marginalité aliénante".
Il est paradoxal que les écrivains qui "ont en partage la langue française", souvent publiés à Paris, soient systématiquement ignorés des médias et des institutions culturelles et éducatives françaises.
Que dire aussi de la pléthore d'auteurs qui publient en français dans leur pays d'origine et qui, en fait, devraient être les premiers à figurer dans' les circuits de dialogue, à l'intérieur de l'Hexagone comme à l'intérieur de leur pays?"
Or, il nous semble que le fil "qui unit les francophones comme une poignée de main continue" qu'est la langue française, pour ne pas s'interrompre, doive être entretenu, renforcé. Et cela passe nécessairement par le dialogue entre les différentes cultures francophones, ce qui suppose le respect réciproque et l'égalité entre les interlocuteurs; cela passe aussi par la reconnaissance des langues nationales dans chaque pays dont les relations avec le français ne doivent pas être vues en termes conflictuels mais plutôt complémentaires.
Ainsi, "le plurilinguisme en francophonie deviendrait cet espace aménagé et convivial qui prendrait appui sur les options fondamentales: l'identité et le développement, l'une et l'autre ne s'excluant plus mais se complétant désormais".
Pour cela, il y a lieu d'œuvrer pour "une Francophonie enrichissante, viable et essentielle qui accepterait et intégrerait les différences dans la dignité fondamentale".

Défis du XXIe siècle:

Nul doute que la communauté francophone, à l'aube du 2le siècle, pour ne pas être à la traîne, se doit de relever les défis du développement.
Devant l'invasion de l'anglo-américain, il y a lieu d'opposer une langue vivante, dynamique, apte à véhiculer les connaissances scientifiques et techniques dans tous les domaines de la vie moderne: technologie, informatique, électronique, etc. Ce n'est pas "par décret" qu'on luttera efficacement contre l'anglomanie, mais par de bonnes traductions et des recherches et des découvertes dans les domaines les plus pointus, même si des règles strictes doivent être édictées pour réglementer l'emploi du français dans les pays francophones.
Les mots nouveaux qui apparaissent chaque année dans les secteurs du commerce, de l'industrie et de l'informatique - pour ne citer que ceux-là- sont un moyen efficace pour diffuser le français.

ghettos créés par ses soins. Autrement dit, s'il est vrai que la France, source légitime et unique, au départ de toutes les francophonies, ne désire en aucun cas établir d'équivalence entre sa productivité culturelle et celles des autres pays francophones, comment comparer le"centre" avec la "périphérie"? (Quelle Francophonie demain ? Jeune Afrique no 1812 du 28 septembre au 4 octobre 1995).

Il est vrai que vue sous l'angle du Sud, la Francophonie est à sens unique. Toutes les instances de légitimation se trouvent au Nord et particulièrement en France: l'Académie Française, les différents prix (Goncourt, Renaudot, Médicis, etc.), les maisons d'édition... Ceci a pour conséquence que les productions littératures et artistiques du Sud qui présentent pourtant une certaine originalité sont minorées, écrasées.

Même parmi les pays du Nord, seule la littérature et la culture hexagonale sont enseignées, diffusées et valorisées dans les anciennes colonies françaises. Dans ces pays, rares sont les professeurs ou étudiants qui peuvent citer le nom d'un poète ou d'un écrivain suisse, québécois ou belge, malgré le dynamisme et la richesse de la littérature et de la culture de ces pays.

Au moment où chaque année des milliers de mots nouveaux font leur entrée au Dictionnaire, combien parmi eux, sont des africanismes qui traduisent des réalités ou désignent des objets propres au continent africain? Comme le dit à juste titre l'écrivain tunisien Chérif Mohsen, " les richesses culturelles spécifiques des francophones (autres que celles du Nord), continuent pourtant d'être niées, occultées sous-estimées. Cela est source de fractures de frustrations, d'inhibitions - et même d'appauvrissement - dont les conséquences négatives se font sentir sur la francophonie dans son ensemble "in Pour une francophonie plurielle, Jeune Afrique no 1810 du 14 au 20 septembre 1995".

Dans son ouvrage "la Francophonie à l'estomac", Hédi Bouraoui dénonce cet état de fait:

Il Nous avons dénoncé le centre monopolisant le pouvoir éditorial, financier et promotionnel qu'est Paris, qui contrôle tous les circuits culturels, à l'intérieur comme à l'extérieur de l'Hexagone, et brouille les différences au nom de l'unicité de la langue française. Ainsi, les cultures d'expression française, celles des provinces de l'Hexagone, du Québec, des anciennes colonies ou des pays récemment inclus dans les sphères

transfert de sens du bambara en français. En effet, derrière "avait fini" se cache le bambara "à bana" (c'est fini, il a fini, il est fini, il est mort).
Changement de catégorie: exemple: substantivation des participes passés:
Salimata chercha en vain leurs tombes. les tombes des non retournées et des non pleurées parce que considérées comme sacrifices pour le bonheur du village".Rappelons , pour mémoire que ces audaces stylistiques ont valu à leur auteur l'ostracisme de l'intelligentsia francophone, surtout parisienne qui lui reprocha son style déroutant, douteux et même fautif. Sans le soutien du Canada, l'une des grandes oeuvres et peut-être la plus originale de la littérature nègre d'expression française n'aurait jamais vu le jour, victime de l'intransigeance de ceux qui considèrent la langue française comme une belle pièce de musée aux contours immuables."
Une autre preuve du talent de cet auteur et désormais des meilleures dispositions des instances de légitimation et qu'il vient d'être primé par l'Agence française de développement (AFD) pour son nouveau roman, "En attendant la voie des bêtes sauvages"-, le prix a été décerné le 11 février.

C'est ce purisme qui s'est dressé et qui se dresse encore comme un obstacle à la réforme de l'orthographe et à la féminisation des professions: Monsieur ou Madame le/la Ministre?
C'est contre une certaine surnorme et une certaine intolérance par rapport au français standard que s'élèvent certains. Citons l'exemple du Président de l'Association américaine des professeurs de français qui proteste contre "la culpabilisation des locuteurs extrahexagonaux envers leur propre parler par rapport à la norme du prétendu français central". Conçue au départ comme étant un cadre de concertation et de coopération surtout culturelle, entre les différents pays membres, la Francophonie a longtemps souffert de l'accusation à tort ou à raison de relent de colonialisme ou de néocolonialisme portée contre elle. En effet, certains y voient la volonté de la France d'exercer son hégémonie sur le reste des pays. Comme le dit justement Hédi Bouraoui:
Si le soubassement colonial de la Francophonie tend à disparaître puisque les auteurs choisissent de s'exprimer en français même s'ils possèdent d'autres langues, il n'en reste pas moins que la France se veut un pays francophone à part ou plutôt le centre, hors des

Francophonie : Quelle (s) Langues enseigner

Il est superflu d'affirmer que le français au contact d'autres langues et d'autres cultures, ne peut pas rester à l'état pur. Il doit être apte à exprimer les réalités des pays et s'adapter aux modes de vie et de penser des peuples qui le parlent. Le français est devenu partie intégrante du patrimoine des peuples francophones, particulièrement les pays africains francophones où il joue le rôle de promotion sociale. Aucun pays donc ne doit exercer un monopole quelconque sur cette langue et son adaptation aux différents contextes est nécessaire.

C'est ce que résume M. Gassama en ces termes.- "Les francophones d'Afrique sont contraints de casser le cou à la syntaxe de France, et en conséquence, c'est précisément les mots de France qui doivent se plier, se soumettre pour épouser les contours parfois si sinueux, si complexes de nos pensées; il faut qu'ils acceptent cette obéissance aveugle, qu'ils admettent des déviations puisqu'ils ont pris le risque de traverser les mers, il faut bien qu'ils acceptent de s'acclimater, ces mots qui nous viennent de France".

Et les exemples de déviations et entorses à la langue de Molière ne manquent pas. Il suffit de citer:

- **Particularités**
- **lexématiques**:

a)formations nouvelles- ambiancer, dibiterie, essencerie, siester, gréver, primature, etc.

b) élargissement de sens: maquis. garde ses différents de sens originels auxquels il a été ajouté celui de restaurant.

- Particularités grammaticales:

Changement de construction- on peut citer les exemples des verbes "fréquenter" et "préparer" construits sans complément d'objet. j'ai fréquenté à Paris je suis allé à l'école à Paris), la jeune fille prépare (la jeune fille prépare la cuisine). Certains écrivains africains jouent, pour des recherches stylistiques évidentes, avec ces changements de constructions. L'on se rappelle la fameuse phrase qui ouvre le roman" les soleils des indépendances" :

"Il y avait une semaine qu'avait fini dans la capitale Koné Ibrahima, de racine malinké..."

L'auxiliaire avoir qui accompagne le verbe finir est moins apte à traduire le nom de mourir(que signifie cette formulation) que l'auxiliaire être. En choisissant avoir, l'auteur "viole" d'une certaine façon la langue française en même temps qu'il procède à un

Moussa Ould Ebnou consacré

Moussa Ould Ebnou, l'auteur de "Barzakh " et de "l'Amour impossible vient d'être consacré comme un des grands écrivains du monde arabe.
En effet son dernier livre (medinetou riyah) a été choisi avec 25 autres pour être publié dans la dernière livraison de la collection "un livre dans un journal". Cette collection ouverte en 1997 par l'UNESCO , vise à faire pénétrer dans le grand public les œuvres maîtresses de la littérature arabe. Chacun de ces grands textes est publié le premier mercredi de chaque mois dans plusieurs quotidiens du monde arabe.
Les 25 œuvres choisies sont réparties entre les œuvres classiques, la poésie, le roman et la littérature féminine.
Les œuvres classiques choisies sont :
- Morceaux choisi, de l'œuvre de Abu Al Ala El Maari
- Un texte de Abi Hayam Eltawhidi
- Kelila we Doumna" d'Abdellah ben Elmagfaa
- Morceaux choisis de la littérature andalouse..

Dans le domaine de la poésie 8 textes ont été choisis pour les auteurs suivants :
-Ahmed Chawghi
-Khalil Hawi
-El Jawahiri
-Mohamed Darwish
-Adonis
-Abdel Wahad El Bayatti
-Abu El Ghassem El Chabi
-Saadi Youssef

Dans le domaine du roman, les 9 auteurs suivants ont été choisis
-Taha Hussein
-yahya Haghi
-Moussa O/ Ebnou
-Ibrahim El Kowni
-Abderrahmane Mounif
-Emile Habibi
-Mohamed Zafzaf
-Mounis Razzaz
-Zahara Thamer

Il est donc évident que le choix, au milieu de cette pléiade d'écrivains célèbres du roman de "Moussa O/ Ebnou" place celui-ci d'emblée dans le premier rang des romanciers arabes. Une consécration méritée ; pour cet écrivain qui, le premier a su offrir une image idéale de l'écrivain mauritanien, et faire sortir de l'anonymat une littérature qui s'est trop longtemps trémoussée dans les bas-fond de la stéréotypie et de l'anecdotique.

participation de chacune et de chacun, et doit offrir aux jeunes et aux générations futures des valeurs qui les aident à façonner un monde plus juste, plus solidaire, plus libre, digne et harmonieux et plus prospère pour tous. La culture de la paix rend possibles le développement durable, la protection de l'environnement et l'épanouissement de chacun.

Conscient de ma part de responsabilité face à l'avenir de l'humanité, et en particulier des enfants d'aujourd'hui et de demain, je prends l'engagement – dans ma vie quotidienne, ma famille, mon travail , ma communauté, mon pays et ma région de :

1. respecter la vie et la dignité de chaque être humain sans discrimination ni préjugé ;
2. pratiquer la non-violence active, en rejetant la violence sous toutes ses formes : physiques, sexuelles, psychologique, économique et sociale, en particulier envers les plus démunis et les plus vulnérables, tels les enfants et les adolescents ;
3. partager mon temps et mes ressources matérielles en cultivant la générosité, afin de mettre fin à l'exclusion, à l'injustice et à l'oppression politique et économique
4. défendre la liberté d'expression et la diversité culturelle en privilégiant toujours l'écoute et le dialogue sans céder au fanatisme , à la médisance et au rejet d'autrui
5. promouvoir une consommation responsable et un mode de développement qui tiennent compte de l'importance de toutes les formes de vie et préserver l'équilibre des ressources naturelles de la planète.
6. Contribuer au développement de ma communauté, avec la pleine participation des femmes et dans le respect des principes démocratiques, afin de créer, ensemble, de nouvelles formes de solidarité.

Dupliquez et diffusez le manifeste 2000 dans votre entourage

Vous pouvez signer le manifeste 2000 sur Internet ww.unesco.org/manifesto 2000

Si vous n'avez pas accès à Internet, renvoyez ce coupon signé à :

Année Internationale de la Culture de la Paix (AICP) UNESCO. 7, Place de Fontenoy, F-75352 Paris 07 SP France. Fax : (-33) (0) 1 45 68 56 38

Nom (1)_____

Prénom _____

Date de naissance_____

Sexe : M - F

Ville de résidence_____

Pays_____

Date et signature_____

(1) Votre nom en tant que signataire du Manifeste 2000 figurera sur le Site Internet consacré à cette opération.

(2) L'ensemble des signatures du Manifeste 2000 seront présentées à l'Assemblée Générale des Nations Unies en septembre 2000

devons maintenant payer pour la paix. Le grand défi auquel nous faisons face maintenant est d'apprendre à respecter l'autre, à écouter l'autre ».

Federico Mayor a également parlé de l'importance de combattre la pauvreté pour réussir le changement vers une culture de la paix et a ajouté que « la démocratie est la meilleure façon de combattre la pauvreté. La liberté, la solidarité, la démocratie et la paix sont les piliers » sur lesquels un meilleur futur peut être fondé. « Main dans la main, nous pourrons écrire le futur, lorsque nous aurons réalisé le potentiel de la mobilisation, » a-t-il déclaré, ajoutant : « Cultivons la paix chaque jour. La paix est comme la liberté, elle ne nous est pas donnée, nous devons la construire ».

MANIFESTE 2000
POUR UNE CULTURE DE LA PAIX ET DE LA NON-VIOLENCE

Le manifeste de l'an 2000 est destiné aux individus et à la société civile. Son objectif est de provoquer une prise de conscience de tous ceux dans le monde entier qui, en signant le Manifeste, s'engageront à souscrire aux valeurs de paix, de tolérance et de solidarité, et à traduire, dans la réalité et au quotidien, les valeurs, les attitudes et les comportements qui inspirent la culture de la paix.

L'UNESCO s'engage, en tant que coordonnateur du système des Nations Unies pour la préparation de l'année internationale de la culture de la paix, à faire circuler le Manifeste 2000 partout dans le monde et lancé un appel solennel à toutes les organisations, les institutions et les gouvernements pour qu'ils s'y associent. L'objectif recherché est de rassembler 100 millions de signatures d'ici à l'Assemblée générale des Nations Unies du Millénaire en septembre de l'an 2000.

Voici le texte intégral du manifeste :

L'an 2000 doit être un nouveau départ, l'occasion de transformer – ensemble – la culture de la guerre et de la violence en une culture de la paix et de la non-violence. Pareille transformation exige la

dictatures et de violence », et a déclaré que les enseignants devaient réévaluer leur conception de l'éducation. « Quel est l'objectif de notre enseignement ? » s'est-il interrogé. « En ne faisant que former de bons ingénieurs, nous produisons des esclaves bien éduqués, » a-t-il déclaré en insistant sur la nécessité d'apprendre aux jeunes à adhérer aux valeurs de paix et de solidarité.

« Sans liberté, nous ne pouvons conquérir la paix, » a-t-il dit. « Nous parlons de la liberté de trouver de nouvelles voies, car l'histoire que nous apprenons est l'histoire de la violence ». Il a aussi souligné l'aide que les artistes peuvent apporter à la diffusion, du message de paix car « l'art est le langage qui touche les gens directement » M. Pérez Esquivel a ajouté que « notre défi est de construire une nouvelle société » et a dénoncé « le progrès qui ne sert qu'à quelques-uns tandis que des millions d'autres restent exclus et marginalisés ».

Le Directeur général de l'UNESCO Federico Mayor, a déclaré que « la cause de la paix a aujourd'hui plus que jamais besoin de ce mouvement pour lutter contre des siècles de culture de force et de coercition. A l'aube de ce nouveau siècle et millénaire, nous avons besoin de chacun pour assurer une transition et un nouveau départ vers une culture de la paix et du dialogue de la non-violence et de la tolérance ».

Frederico Mayor a appelé les gouvernements, les parlementaires, les médias et les maires à soutenir cette initiative « Les maires, » a-t-il dit, « occupent une position privilégiée pour prendre des mesures pour les jeunes qui représentent l'avenir » il a ensuite mis l'accent sur l'importance de la paix en tant que « condition préalable sans laquelle, il n'y a pas de justice, de liberté d'expression ou de développement ». Il a également souligné que « nous avons le moyen de lutter contre la violence[...] Nous savons comment élever les défenses de la paix grâce à l'éducation, grâce au partage du savoir, et en favorisant la diversité culturelle et la créativité ».
Parlant du Xxe siècle comme un siècle de violence et de mort, il a déclaré : « Nous en avons payé le prix en vies humaines. Nous

Manifeste, et l'UNESCO espèrent recueillir.

La militante pour la paix a souligné que l'objectif du Manifeste est d'obtenir l'engagement individuel de chacun dans le monde entier à mettre fin à la violence et aux tueries. Dans une allocation très émouvante, elle a expliqué combien le monde pourrait être beau si les valeurs exprimées dans la campagne pour la paix lancée aujourd'hui pouvaient être traduites dans la réalité. Mais, a-t-elle ajouté, « pour beaucoup trop de personnes, il est difficile de voir de beauté, quand on n'a rien dans l'estomac et quand ses enfants meurent de maladies qui auraient pu être prévenues ». Mme Maguire a déploré le fait que, malgré les fantastiques progrès technologiques, aucune solution n'a été trouvée au problème de la pauvreté.

Mairead Maguire a également lu les messages de soutien au mouvement de la paix provenant du chef spirituel tibétain, le Dalaï Lama , et du Président d'Afrique du Sud, Nelson Mandela. Elle a regretté le fait que la Birmane Aung San Suu Kyi n'ait pu être associée au mouvement car « elle n'est pas autorisée à communiquer avec le monde extérieur ».

Elle a conclu par un vibrant appel : « Nous ne devons pas avoir peur de sortir dans notre monde. Croyez avec ferveur à votre pouvoir de changer le monde. Il y a des millions et des millions de personnes de par le monde qui désirent la paix et la non-violence. Ce document nous donne le pouvoir de changer le monde ».

Prenant alors la parole, Ribogerta Menchu a affirmé soutenir de tout son cœur la culture de la paix. S'exprimant en tant que « survivante d'un génocide » et en tant que « mère indigène », elle a souligné qu' "il n'y a pas d'autre alternative que de soigner les blessures du passé. Nous qui avons souffert, nous croyons quand même à la paix et nous parlons notre avenir sur elle".

Appelant les signataires du Manifeste à s'impliquer activement dans la création d'une culture de la paix, Rigoberta Menchu a déclaré : « Nous ne voulons pas que nos enfants soient violents et commettent génocide, torture et viols ».

L'enseignant, artiste et militant des droits de l'homme , Adolfo Pérez Esquivel, a alors pris la parole pour les très nombreuses personnes d'Amérique latine qui « ont été victimes de génocides, de

MANIFESTE 2000 POUR UNE CULTURE DE LA PAIX ET DE LA NON-VIOLENCE

Le Directeur général de l'UNESCO, Federico Mayor, et les Prix Nobel de la Paix Mairead Corrigan Maguire (Irlande du Nord), Rigoberta Menchu Tum (Guatemala), et Adolfo Perez Esquivel (Argentine) , ont lancé le 4 mars 1999 le Manifeste 2000 pour une culture de la paix et de la non-violence qui est destiné à générer un mouvement populaire mondial en faveur de la paix, de la solidarité et de la tolérance. Le maire de Paris a également assisté à l'événement.

Le mouvement et le Manifeste 2000 s'inscrivent dans le cadre de la préparation, par l'UNESCO, de l'an 2000, proclamée Année Internationale de la culture de la paix par l'Assemblée Générale des Nations Unies, à l'initiative de l'Organisation. L'UNESCO a été désignée coordonnateur pour cette Année.

Le Manifeste cherche à obtenir l'engagement personnel des individus du monde entier à souscrire les valeurs de paix, de tolérance, de partage et de solidarité qui inspirent la culture de la paix et à les traduire dans la réalité et au quotidien.

En six points, le Manifeste met en avant les valeurs suivantes : respecter la vie et la dignité de chaque être humain, pratiquer la non-violence active, partager temps et ressources matérielles en cultivant la générosité , afin de mettre fin à l'exclusion, à l'injustice et à l'oppression politique et économique, défendre la liberté d'expression et la diversité culturelle ; promouvoir une consommation responsable, contribuer au développement communautaire , avec la pleine participation des femmes et dans le respect des principes démocratiques, afin de créer, ensemble, de nouvelles formes de solidarité.

Présentant, à la Tour Eiffel, le Manifeste, Mairead Maguire a parlé d' «un document historiques ». « Ce que nous volons, c'est atteindre le cœur et l'esprit des gens, et pas seulement obtenir leurs signatures », a-t-elle déclaré en faisant référence aux 100 millions de signatures que les Prix Nobel de la paix, qui ont écrit le

La forte présence de la femme dans la vie sociale, sa participation active à toutes les activités aussi dures soient elles la préservaient de certaines tares répandues chez la femme dans les milieux arabe et musulman, telle que la paresse et la faiblesse physique, qui sont d'ailleurs considérées à l'époque synonymes de féminité. Certains voyageurs arabes du 4ème siècle après l'hégire décrivent les femmes du Sahara comme complètement différentes, car ne répondant pas aux critères de la féminité communément admis dans leurs sociétés. Car l'obésité était la règle chez elles, surtout parmi les citadines.

Dans les domaines des richesses, les sahariennes de l'époque n'étaient pas dépourvues. Ibn Harghel, qui visita la région d'Aoudaghost au milieu du 10è siècle, note que la sœur du roi d'Aouadghost « Tiniroutan » possédait 15000 têtes de chameaux. Il ne cite pas ses autres propriétés.

Dans le domaine culturel, la femme occupe une place de choix dans la société des « Moulethemines », surtout durant la période anté islamique où elle était considérée comme sacrée, car nouant des relations étroites avec les djinns.

Après l'arrivée de l'Islam, les femmes surent occuper une place de choix dans l'ordre culturel, non seulement en tant que connaisseuses mais aussi en tant que créatrice. Nous pouvons ainsi citer l'exemple de Hawa Bint Tachffin qu'Ibn Azzari El Marrakchi qualifie : de « grande et talentueuse poétesse ».

On peut donc conclure que la femme mauritanienne jouissait d'une liberté inconnue chez les peuples voisins, qui partageaient pourtant avec nos ancêtres les mêmes valeurs arabo-islamiques.

Cette émancipation était souvent d'ailleurs très mal comprise par les visiteurs arabes. Ibn Battouta était ainsi révolté par la présence des femmes dans la cité de Oualata, et par le fait qu'elles participaient aux assemblées et discutaient même avec les cadis de la ville. « Les femmes écrivait-il ne se cachaient pas devant les hommes et ne se voilaient pas ». Un de ses amis, habitant de Oualata devait d'ailleurs lui expliquer ce phénomène en ces termes. « Les relations entre hommes et femmes se fondent chez nous sur les meilleures bases, dans la pleine confiance. Nos femmes ne ressemblent pas aux vôtres ».

Nani Ould Houssein
TRADUIT PAR CHEIKHOU

réunions tribales qui lui étaient ouvertes.

La femme mauritanienne, en plus des rôles qui lui étaient directement assignées, jouissait d'une influence primordiale sur les hommes, une influence qui dépassait très souvent le cadre des affaires familiales et privées.

L'exemple le plus frappant de cette influence est le rôle joué par Zeineb El Nevzawiya aux côtés de ses deux époux : Abou Bekr Ben Omar et Youssouf Ibn Tachffin.

Le plus étonnant est que Youssouf Ibn Tachffin ait expliqué les succès qu'il a remporté, par les conseils judicieux de sa femme. Après la bataille de Zallaqa, qui vit la victoire des Almoravides en Andalousie, certains chroniqueurs soulignèrent la place occupée par Zeiben aux côtés de Youssouf Ibn Tachffin. « Une femme qu'il aime beaucoup...Et il n'est d'autre volonté que la sienne ».

L'influence de la femme ne s'exerçait à l'époque pas seulement sur les dirigeants, mais elle était acceptée par l'ensemble du corps social des « Moulethemine ».

Cette habitude s'est ainsi propagée dans les territoires qu'ils ont conquis. Ainsi Abdel Wahid El Marrakchi, notait, à la fin de l'époque almoravide : « Les femmes assurèrent leur suprématie sur toutes choses. Toutes les affaires leur étaient confiées, et chaque femme Lemtouna ou Messouffa protégeait les méchants et des prédateurs ». Certains chroniqueurs soulignent que la puissance des épouses d'émirs almoravides était telle qu'elles délestaient de leurs fonctions les cadis qui leur déplaisaient et les faisaient remplacer par la personne de leur choix.

Cette prépondérance de l'élément féminin paraîtrait moins étonnante si l'on se souvient que les sociétés mauritaniennes pré-islamiques étaient matriarcales, jusqu'à l'arrivée de l'Islam. Ainsi El Nouweïri notait : « Tous les « Moulethemins » suivent les ordres de leurs femmes. Ils appellent les hommes par le nom de leurs mères ».

Ces habitudes sociales survécurent en partie après l'islamisation. Au début, de l'épopée almoravide, elles étaient encore très présentes. Ainsi certains chefs militaires almoravides portent le nom de leurs mères. Ainsi Abdallah Ben Mohamed ben Youssouf Ben Tachffin, était aussi très connu sous le nom d' »Ibn Aïcha ». D'autres émirs almoravides répondaient aux noms d' « Ibn Fatima » ou d'Ibn Ghanya ».

LA FEMME MAURITANIENNE AU MOYEN AGE : PARTICIPATION ET LIBERTE

La plupart des chercheurs en matière sociale constatent avec étonnement la place remarquable occupée par la femme en Mauritanie dans la vie de tous les jours.

En effet, la femme, dans les pays voisins ne jouit nullement des prérogatives reconnues à la femme mauritanienne. Les arabes expliquent cette liberté par l'influence négro-africaine, les africains l'expliquent par l'influence arabe. En fait, il s'agit là d'une spécificité propre à la Mauritanie et qui date de très loin. Déjà, au Moyen Age, la femme avait occupé chez les « Moulethemines » (ancêtres des mauritaniens), une place de choix, et jouait un rôle important dans tous les domaines, y compris ceux qui étaient considérés comme exclusivement masculins.

C'est que, la vie bédouine, basée sur la mobilité, exigeait de tous la participation à un combat contre des défis quotidiens et la femme s'occupait de travaux essentiels, comme le dressage des tentes et la plupart des travaux domestiques. Elles faisaient même paître les chameaux, ce qui est clairement établi par une correspondance établie ente Abdallah Ibn Yacine et son Cheikh Wajjaj Ben Zenoui .

La femme ne se suffisait pas seulement d'exhorter les hommes durant les batailles, elles participait elle-même directement à la défense des cités et des campements.

La principale explication de ce rôle majeur accordé à la femme dans les sociétés bédouines revient à la dureté des conditions nées du mode de vie qui obligeait les mauritaniens à errer tout au long de l'année pour rechercher les meilleurs pâturages. La transhumance a placé la femme au centre de la société ; car la tente est le refuge de tous, qu'ils soient de la famille ou étrangers et au milieu de la tente, trône la femme. La tente, qui ne possède pas de pièces isolées, où tout donne à la femme une présence au milieu des réunions. Elle recevait ainsi les hôtes et cela même en l'absence de son mari. Elle les accueillait avec sollicitude et sens de l'hospitalité, tout en respectant strictement les règles de la bienséance et de l'honneur . La femme mauritanienne a pu ainsi acquérir la majeure partie des droits dont jouit l'homme, ceux en tout cas qui étaient nécessaires pour qu'elle puisse jouer un rôle de premier plan dans la vie de tous les jours.

Ainsi, elle participait aux prises de décisions, et intervenait dans les

l'exagération est de mise, et où les sonorités du verbe résonnent comme des tam-tams de guerre. Les plus grandes T'haydina remontent à plusieurs siècles.

Le mad'h

Moins vigoureux que le Thaydin, le mad'h est la glorification d'un chef militaire ou religieux ou d'un notable particulièrement généreux. Il est souvent le fait des griots eux-mêmes, qui, dit-on parfois, s'élèvent, quand ils excellent, au dessus de celui qu'ils louent.

-Le Šamt

Une genre rejeté, honni même par la majorité des poètes,. Les langues acerbes des poètes s'y délient pour fustiger une personne ou un groupe social. Le ''Šamt'' ne se déclame pas en société, et est durement ressenti par ceux qui en font les frais.

- **Le ghazal**

On y chante l'aimée. On y déclame ses sentiments. On y pleure les journées et les nuits perdues, loin de l'être cher. Un être dont on ne dit souvent pas le nom, pudeur bédouine oblige. D'ailleurs, le ghazal est souvent lié au Buka ala el Atlal, pleur sur les ruines, ruines qui ne sont très souvent que l'endroit où, il n'y a pas très longtemps a campé la tribu de l'aimée.

Il faut cependant bien souligner que les grands poètes maures se libèrent aisément du carcan des grands genres et s'ouvrent de nouveaux horizons, souvent fortement empreints de mysticisme, où la foi, la réflexion philosophique, le spiritualisme sont très présents.

- **Poésie et musique**

La poésie maure est profondément liée à la musique. Celle-ci dans ses nombreuses et très savantes gammes (c'est l'une des musiques les plus savantes au monde) réserve un cadre pour tous les genres et pour toutes les métriques. Le poète écrit souvent pour être chanté. Il dit d'ailleurs souvent la poésie devant une assemblée musicale. Dans ce cas, il devrait bien connaître les règles musicales et ne pas déclamer un ''gav'' au mauvais endroit, ce qui apparaîtrait comme déshonorant pour lui.

La poésie chez nous est si liée à la musique que beaucoup de connaisseurs ergotent pour savoir laquelle des deux a précédé l'autre. Débat plutôt ''philosophal'' sur lequel nous ne nous étendrons guère.

Nous terminerons simplement en insistant sur la parfaite corrélation entre ces deux arts qui forment une coupole dorée pour une civilisation qui a apprivoisé le sable et qui a embrassé le ciel.

Cheikhou

Il se compose de huit syllabes ouvertes mais ne tient nullement compte des syllabes closes.
Labtayt attam reste encore le mètre le plus prisé par les poètes. C'est le domaine par excellence, du lyrisme.

3. Labtayt annâqas

De nos jours, il est très peu utilisé par les poètes, car sa rythmique est difficilement maîtrisable pour ceux qui ne sont pas particulièrement doués. Il se compose seulement de six syllabes ouvertes et ne doit pas compter de syllabe close.

4. Ahwaywis

C'est le vers des réunions galantes, des joutes poétiques. Il exige de la concision, et appelle à l'esprit. Il se compose de quatre syllabes ouvertes et pas de syllabe close.

-Les septuasyllabes

Ici, et par convention, on ne parle plus de ''gav'' mais d''Eguilal''. Les septuasyllabes comptent toute le même nombre de pieds, mais la place, la présence ou même l'absence de la syllabe close jouent un rôle déterminant dans la classification... et dans la rythmique bien sûr.

Attaydum
Composé de 7 syllabes ouvertes, on y découvre la ''gadaa'' (syllabe close) à la première et à la troisième hémistiches, puis à la sixième.

- **Loubbeïr**

Mraymida : très ancien, mais toujours usité, c'est le vers du défi , de la provocation.

Bouamran : plutôt utilisé dans le ''Tewessoul'' , la poésie mystique.

II. Le vers hétérométrique

La forme la plus généralement employée du vers hétérométrique est Asghayar . Il se compose de deux hémistiches. La première se compose de 7 syllabes ouvertes. La syllabe close y apparaît après la cinquième syllabe ouverte. La seconde hémistiche comporte cinq syllabes ouvertes et une seule et obligatoire syllabe close à la fin.

c) Les genres poétiques

1/ Thaydin

C'est le domaine de l'épopée, là aussi où la poésie maure atteint ses plus hauts sommets. Le T'haydin est une construction dramatique où les hauts faits sont brossés d'une plume à la fois vigoureuse et délicate, où

On suit alors une forme a a a a . Cette forme, appelée ''gav ahmar'' (littéralement gav rouge) ne se rencontre pratiquement plus.

2. La Talaa

C'est la forme de prédilection de la grande construction poétique. Une Talaa est composée de six hémistiches au minimum et qui ''montent'' (la talaa c'est ''l'ascension'') selon le rythme suivant : a-a-a-, b-a-b. Elle peut être très longue, mais elle se poursuivra selon son rythme a-b-a-b.

3. Le Tebra'a

C'est la forme amoureuse, celle des sentiments simples et parfois profonds. Le Tebra'a, est le domaine exclusif des femmes. Elles y égalent parfois en génie les plus grands des poètes. Seulement, la Tebri'a n'est souvent pas signée. L'anonymat ici, préserve la liberté, car en restant ignorée, la femme peut s'exprimer librement, sans encourir les foudres du père, du frère ou du mari.

Les règles du ''Tebra'e'' (au singulier Tebri'a) sont des plus simples : deux hémistiches dont les rimes se ressemblent.

II. La métrique

La poésie maure possède une métrique très savante. Nous en présenterons les caractéristiques les plus évidentes, et les mètres les plus souvent utilisés.

Dans la poésie maure, c'est surtout le nombre de syllabes ouvertes ou fermées, leurs rapports entre elles, la place qu'elles occupent, leur agencement qui fonde la classification. Pour des raisons pédagogiques (et à l'instar de la majeure partie des spécialistes) nous distinguerons deux grands genres : le vers homométrique et le vers hétérométrique. Soulignons tout de même que cette distinction bien que très pédagogique, est rejetée par nombre de connaisseurs et de pratiquants de la poésie hassaniya.

I/ Le vers homométrique. Il se présente sous différentes formes dont les plus importants sont les suivantes :

1/ Albat Lekbir

C'est la forme la plus prestigieuse. Celle qu'on rencontre sous la plume des très grands poètes. Albat Lekbir est également la forme qui se rapproche le plus de la poésie arabe classique. On le rencontre dès le 17ème siècle dans les premiers grands poèmes, encore connus de la poésie hassaniya. Il paraît être un apport direct des conquérants arabes.

Albat Lekbir possède huit pieds et tient compte des syllabes ouvertes et closes.

2. Labtayt attam

Poésie maure
Rigidité des règles et liberté de création.

Quand on parle des mauritaniens comme du ''peuple d'un million de poètes'' on fait allusion, à mon sens, à leur capacité de créer dans leur dialecte propre, le hassaniya.

En effet, sous chaque tente, dans chaque maison, les Arabes mauritaniens, s'ingénient chaque jour, à chaque occasion à composer des vers. La satire, la dérision, la joie, la colère, l'amour, la foi, tous les sentiments s'essayent, à chaque moment, à s'exprimer dans des formes poétiques, et selon une métrique que chaque mauritanien devrait, s'il ne veut pas déchoir auprès des siens, maîtriser peu ou prou.

Les médias mauritaniens (qui lui donnent une large place) qualifient souvent cette poésie de ''populaire''. Terme impropre de mon point de vue, car cette forme d'expression même si elle est largement embrassée, a donné naissance à une aristocratie du verbe à une élite poétique, qui n'a rien à envier aux plus grandes plumes du monde arabe et de l'occident.

D'ailleurs les Maures distinguent bien entre un ''wazzan'' (qui compose des vers) : b-gavou (celui qui «a» des vers) et un ''Mghani'', un poète. Si les premiers (et ils sont légion) peuvent être considérés comme ''populaires'', le '''Mghani'', lui, s'élève bien au-dessus des gens du commun, qui dans la plupart des cas, manquent de la culture nécessaire pour comprendre intimement sa poésie.

Notre propos, dans cet article, est d'exposer, d'une manière simplifiée, les formes, la métrique et les genres codifiés dans les regles (rigides tres souvent) de la poésie maure classique.

Nous ne faisons œuvre, ici ni d'érudit, ni de spécialiste, ni même de bon connaisseur. Il est seulement des a-b-c- de la poésie maure, que tout mauritanien devrait connaître et que nous nous efforcerons de présenter ici.

Les formes poétiques

Nous en distinguerons trois le ''gav'', la ''talaa'' et la ''tebri-a

1. Le gav

Il est forme de quatre hémistiches au minimum appelée chacune ''tavelwitt''. Elles se suivent dans une forme généralement alternée a-b-a-b. Il peut tendre vers l'infini tout en respectant l'alternance des rimes. C'est alors une Kerza.

Si le ''gav'' est composé dans la plupart des cas de 4 hémistiches, il peut dans certains cas, en avoir six. On dit alors que c'est un gav mussattet.

On rencontre également des gavs ou les rimes se suivent et se ressemblent.

La concurrence est ainsi rentrée dans le secteur, et l'imagination et le savoir-faire sont devenus synonymes d'enrichissement. Dès lors, les forgeronnes apparaissent de plus en plus comme des artistes, des créatrices parfois géniales de tableaux éphémères. De nouveaux genres sont apparus dans le henné. Les motifs portent des noms parfois spirituels, parfois simplement empruntés au réel "saggat, Atayar, hnech, scrabble, damye, smae, zenkelouni...

Le henné, art des femmes, art pour les femmes est aussi objet de poème et d'amour. Aline Tauzin souligne bien la place occupée par le henné dans la poésie maure, et elle en donne des exemples. Mieux, le henné "insigne de la femme" embellit des parties d'elle essentielles dans les critères de la beauté féminine, tels que codifiés dans l'esprit des anciens maures. "Quelques gestes suffisent pour évaluer la beauté de la femme, des gestes qui dévoilent les seules extrémités de son corps et que résume la location proverbiale suivante: lemra alla hadd isselem we ikellemhe we exattihe le lxalve « La femme, on la salue, on lui parle et on lui fait dépasser le coin de la tente ». Ce faisant, on découvre sa main qui doit être liés, fine, on apprécie la délicatesse du poignet et, à l'opposé, la grosseur de l'avant-bras, on jauge l'alignement de sa dentition, mais aussi la qualité de sa conversation, et tandis qu'elle enjambe la corde qui maintient le coin de la tente fixé au sol, on apprécie la longueur et l'étroitesse de son pied, la finesse de sa cheville et la galbe de son mollet".

Le livre d'Aline Tauzin pullule d'anecdotes qui tout en nos présentant l'art du henné, et son histoire nous font pénétrer subrepticement, par des interstices parfois insoupçonnés, dans le profond de l'âme mauritanienne.

De plus, Aline Tauzin nous offre avec son livre une véritable petite perle. Le format léger, le papier luxueux et glacé, les photographies ravissantes font à eux seuls, de ce petit livret un véritable objet de la collection. Donc, même les plus avaricieux ne devraient pas rechigner à se l'offrir. Ils y trouveraient largement leur compte !

MBARECK OULD BEYROUK

vertus thérapeutiques reconnues depuis des siècles. Ainsi Aline Tauzin nous apprend que "les soins au henné s'appliquent à des pathologies très diverses, mais les buts qui leur sont assignés peuvent se classer en quatre rubriques : traiter des maladies de peau, soit en renforçant cette dernière, soit en la désinfectant : guérir la partie malade en la «nourrissant, par pénétration, des vertus attribués au henné ; enfin guérir des troubles qualifiés de "chauds" grâce au caractère "froid" de la plante".

La pharmacopée traditionnelle utilise le henné pour guérir des affections aussi diverses que les brûlures, la varicelle, les coups de soleil, la gale, la teigne, les coliques, les diarrhées, la sciatique, les maux de ventre.

Mais le henné reste avant tout lié à l'élégance, à la beauté féminine. Déja René Caillé notait que le henné est chez les maures" non seulement un très bel ornement mais un usage consacré par la religion pour les femmes qui se marient. Lorsqu'on a mis le henné à une femme, elle affecte de le faire voir, elle a soin en parlant, de faire remarquer ses mains et ses pieds, pour qu'on lui fasse complément. Partout, les femmes sont coquettes".

De nos jours encore, le henné est symbole du désir de conquérir, de plaire, de gagner les cœurs. Avec la naissance de nouveaux rapports sociaux, des nouvelles conceptions d'aimer et de séduire, de la nouvelle manière de vivre, le henné se charge de nouvelles utilisations, Aline Tauzin souligne à juste titre que "les phénomènes d'individualisation, d'autonomisation du sujet par rapport au groupe social, qui accompagnent la sédentarisation et plus encore l'urbanisation en cours de la société maure, favorisent le développement de la fonction esthétique du henné. Ils facilitent l'émergence de goûts individuels et leur renouvellement à travers des effets de mode".

De fait le henné s'est comme embelli des apports du présent. Les motifs sont devenus plus nombreux, plus individualisés. Les forgeronnes . anciennement détentrices du rôle de la "hannaya" (celle qui met le henné) ont ouvert des "salons" où ils vendent leur savoir – faire.

"Le henné, art des femmes de Mauritanie"

Aline Tauzin, ethnologue, chargée de recherche au CNRS a comme beaucoup d'étrangers succombé à l'attrait de notre pays. Après ses "contes arabes de Mauritanie", voilà qu'elle publie un livre sur "le henné, art des femmes de Mauritanie".
Le henné serait-il un art ?

Bien des mauritaniens, trop habitués à cette parure des mains et des pieds seraient étonnés devant une telle assertion. Le henné, paraît être à leurs yeux comme une technique, un métier, et quelques motifs patiemment dessinés par des professionnelles.

Mais le henné est aussi un mode d'expression. La main, les pieds deviennent ici toiles où l'artiste déverse son imagination, sa fantaisie, son attachement au beau. Ces couleurs rouge et noir, ces motifs, cette géométrie des mains qui dessine une vérité on un aspect à la fin magique et fascinant.

Le henné serait originaire du sud de l'Iran. De là il aurait conquis l'Inde puis la Palestine et l'Egypte. Ramsés II avait les mains et les pieds teints de henné

En Afrique du Nord, le henné, reste étroitement lié aux concepts religieux. Il est l'un des arbres qui poussent au paradis. En Mauritanie, il est aussi considéré comme étant l'arbre de Fatima, la fille du Prophète qui aurait été la première à s'en parer.

La valeur sacrée du henné est soulignée quand les jeunes récitants du Coran s'en couvrent les pieds. Il devient ainsi signe d'élévation dans l'ordre social et religieux.

Mais le henné, arbre de l'absolu et du mystère, éloigne aussi les mauvais esprits, le mauvais œil. "Il est dit nous raconte Aline Tauzin que le henné des mains protège le corps de la tête au nombril, tandis que celui des pieds le protège du nombril aux pieds". Le henné est ainsi exigé aux instants critiques : la naissance, la maladie, la mort.

Car le henné à côté de son caractère sacré possède aussi des

EDITORIAL

Le Président Maaouiya Ould Sid Ahmed Taya a engagé la Mauritanie dans un nouveau processus de progrès. Après la mise en place des infrastructures économiques, voici venue l'ère d'une nouvelle phase, cruciale pour l'avenir : celle du savoir .

Il est clair que tout développement passe par le savoir, il est évident que les nations ne connaissent d'essor que par la maîtrise des technologies, il n'est donc pas besoin de souligner que notre futur dépendra étroitement de notre niveau culturel et scientifique.

La réforme de l'éducation nationale est un pas important vers la création d'une élite scientifique , capable d'intérioriser les connaissances scientifiques d'aujourd'hui, donc de bien se placer pour la course au progrès que ne cessent d'engager les nations.

Par Ely Ould Bouboutt

Mais, il est également très important d'étendre le savoir à tous, de donner à chaque village, à chaque campement, à chaque citadin la chance de pouvoir s'alphabétiser, étendre ses connaissances, connaître le monde, appréhender le siècle où il vit.

A la commission nationale pour l'éducation, la science et la culture, nous saluons cette nouvelle ambition , parce qu'elle répond à la mission que nous nous sommes donnée et aussi parce qu'elle va dans l'intérêt de la nation mauritanienne.

Nous n'épargnerons donc aucun effort pour être à la hauteur des nouvelles ambitions que s'est donné le pays.

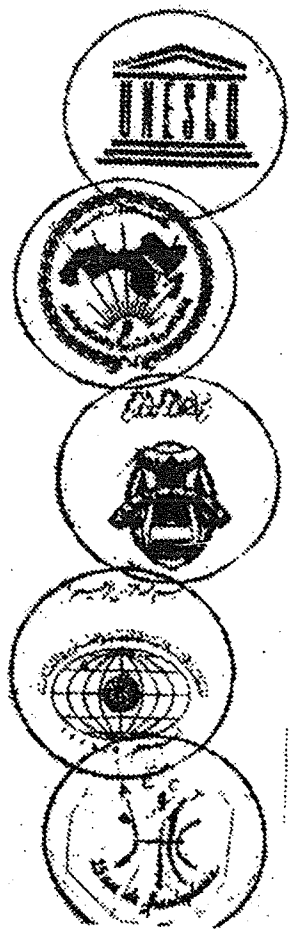

SOMMAIRE

Editorial

Ely Ould Bouboutt

Le henné, art des femmes de Mauritanie

M'Bareck Ould Beyrouk

Poésie maure

Rigidité des règles et liberté de création

Cheikhou

La femme mauritanienne au moyen âge
Participation et liberté

Nani Ould Houssein

POUR UNE CULTURE DE LA PAIX
ET DE LA NON-VIOLENCE

Moussa Ould Ebnou consacré

Francophonie :
Quelle (s) Langue(s) enseigner

Mohamed Vall Ould Cheikh

AXES DE REFLEXION POUR UN BILAN DE LA CONFRONTATION ENTRE MAURITANIENS ET COLONISATEURS FRANÇAIS (XIXè début XXè siècle)

Abdellahi Fall

Al Mawkib

N° 17 & 18

AL THAQAFI

LE HENNE, ART DES FEMMES DE MAURITANIE

POESIE MAURE :
RIGIDITE DES REGLES
ET LIBERTE DE CREATION

La femme mauritanienne au moyen âge
Participation et liberté

Francophonie :
Quelle (s) Langue(s) enseigner

RESPONSABLE DE LA PUBLICATION :
ELY OULD BOUBOUTT

Al Mawsim

N° 17 & 18

AL THAQAFI

LE HENNE, ART DES FEMMES DE MAURITANIE

POESIE MAURE :
RIGIDITE DES REGLES ET LIBERTE DE CREATION

La femme mauritanienne au moyen âge
Participation et liberté

Francophonie :
Quelle (s) Langue(s) enseigner

RESPONSABLE DE LA PUBLICATION :
ELY OULD BOUBOUTT